٦

أ. شاميلوف

حول مسألة الإقطاع بين الكرد

ترجمه وقدم له وعلق عليه

الدكتور كمال مظهر أحمد

الطبعة الثانية

(منقحة ومزيدة)

أ . ثاميلوف

حول مسألة الاقطاع بين الكرد

ترجمه وقدم له وعلق عليه

الدكتور كمال مظهر احمد

الطبعة الثانيــة

(منقحة ومزيدة)



بغداد ـ ١٩٨٤

А Ш ШАМИЛОВ

К ВОПРОСУ
О ФЕОДАЛИЗМЕ У КУРДОВ

صورة طبق الاصل لغلاف الكتاب باللغة الروسية

مقدمة

الطبعة الثانية

بوسع الدارس ، والمتتبع ان يتلمس حتى اليوم بقايا الفكر الاقطاعي ، ومظاهر اجتماعية واقتصادية مختلفة للمؤسسة الاقطاعية داخل المجتمع الكردي . ان هذا وحده يكفي لتحديد أهمية دراسة « الاقطاع الكردي » ، الموضوع الذي اوليته اهتماما خاصا منذ ان باشرت بدراساتي العليا ، فهو يحتل حيزا كبيرا في الرسالتين اللتين اعددتهما في تلك السنوات . ومنذ ذلك الوقت جلب بحث الكاتب الكردي المعروف أ . شاميلوف (عەرەبی شامۆ) « حول مسألة الاقطاع بين الكرد » ، الذي ألفه باللغة الروسية ، انتباهي ، فقدمت في العام ١٩٧٧ ترجمته العربية الى القراء الكرام . ونظراً لاهمية الموضوع ارتأيت ان أنشر طبعة ثانية للكتاب الذي لا يزال يحتفظ بمكانة متميزة في حقل الدراسات الكردية رغم مرور حوالي نصف قرن على نشره للمرة الاولى .

المترجم

مقدمة

الطبعة الاولى

لا يمكن تحديد الاطار الصحيح للاحداث التأريخية لاي مجتمع كان دون فهم خلفيتها بصورة واضحة يمكن معه وضع اليد على الحوافز والمحركات الخفية وراء سيرها وتطورها بأتجاه النصر أو الاخفاق • وأول متطلبات ذلك هو تقصي الواقع الاقتصادي ـ الاجتماعي للشعب المراد دراسة أحداثه في مرحلة تأريخية معينة • وقد غدا هذا الامر بالتدريج حقيقة يؤمن بها معظم المؤرخين الذين ينتمون الى مدارس فكرية مختلفة •

واذا كان تأريخ الشعب الكردي ما يزال يفتقر الى سلسلة طويلة من الدراسات الجدية لسبر أغوار وقائعه في جميع العصور ، فأن الهيكل الاقتصادي ـ الاجتماعي لهذا الشعب لا يزال يؤلف حقلا بكرا ينتظر جهودا مثابرة ضرورية للغاية اذا اردنا فهم « اللغز » الكردي فهما علميا صحيحا • فبالكاد تتجاوز البحوث المكرسة لتحليل هذا الجانب الحساس من حياة الشعب الكردي عدد أصابع اليد الواحدة(١) • حسبنا أن هذه الحقيقة تكفي لوحدها لتحديد

(١) تقتصر الدراسات الجدية في هذا المجال على مؤلفات الدكتور شاكر خصباك المعروفة وكتاب الدكتور عبدالرحمن قاسملو « كردستان والاكراد • دراسة سياسية ـ اقتصادية » الذي

أهمية كتاب أ. شاميلوف « حول مسألة الاقطاع بين الكرد » ، وتكفي ايضا لتحديد حوافز ترجمته(٢) . والواقع اننا اذا اردنا ان نفهم التأريخ الكردي في اطار موضوعي لابد لنا من أن ندرس الاقطاع الكردي في اطار واقعي . فأن هذا النظام الاجتماعي يؤلف ، بجمع أنواع تشكيلاته البسيطة والمعقدة ، الخلفية الاساسية للجانب الاكبر من التاريخ الكردي المعروف . ولا تزال آثار هذا النظام وروثة تحتفظ بمواقع قوية في الفكر الكردى(٣) ، ولا سيما في

= طبع في الاصل باللغة السلافية (براتيسلاف ، ١٩٦٤) ومن ثم ترجم الى عدد من اللغات الاوربية والشرقية ، ورسالة الدكتور علي گلاويژ « العلاقات الزراعية في كردستان ايران المعاصرة » التي دافع عنها في العام ١٩٥٥ في باكو عاصمة آذربيجان السوفيتية مع دراسات عدد محدود من المستشرقين السوفيت ، وتأتي في مقدمتها مؤلفات و. ڤيلچيڤسكي (راجع الهامش رقم ٦) وبحوث قليلة قدمها مؤلفون غربيون مثل كتاب فردريك بارث :ـ

F. Barth, Principles of Social Organization in Southern Kurdistan, Oslo, 1953.

(٢) شاميلوف ، حول مسألة الاقطاع بين الكرد ، باللغة الروسية ، يريڤان ، ١٩٣٦ . نشره كبحث لاول مرة وتحت العنوان نفسه في دورية « مشاكل تاريخ مجتمعات ما قبل الرأسمالية » ، لينينغراد ، العدد ٩ ـ ١٠ ، ١٩٣٤ ، ص١١١ ـ ١٣٤ . (الترجمة الحرفية لعنوان الكتاب هي : « حول مسألة الاقطاع لدى (او عند) الكرد ») .

(٣) الاقطاع ، كما هو معروف ، تكوين اقتصادي ، اجتماعي تمتد آثاره الى جميع نواحي حياة الفرد والمجتمع (بما في ذلك اسلوب التفكير والقيم) في مرحلة تاريخية طويلة الامد . وهذا بحد ذاته يجعل من دراسة الاقطاع في مختلف جوانبه امرا غير هين . ويمكن لمن يتصدى لمعالجة « الاقطاع الكردي»، =

صورته المبسطة المتجسدة والسائدة حتى اليوم في ريف كردستان .

ان المهمة التي نتحدث عنها ليست بأمر هين . فأن دراسة النظام الاقطاعي وتحديد معالمه ، سواء في اطار عام أو في اطار خاص، هي من القضايا الاجتماعية الحساسة التي يحيط بها قدر كبير من المصاعب والمشاكل الناجمة بالاساس عن تشابه جانب غير قليل من خصائص هذا النظام مع جميع مراحل ما قبل المجتمع الرأسمالي من قبيل سيطرة الاقتصاد الزراعي والانتاج الطبيعي ورتابة وسائل الانتاج وتطورها ، وكذلك الاختلاف البين في طبيعة هذا النظام ومراحله حسب مناطق وجوده ، فهي لذلك لا يمكن حصرها في النظام الاقطاعي . ويمتد هذا الاختلاف الى اشكال الارض واسلوب استغلالها والى طبيعة النظام السياسي الاقطاعي وغير ذلك من الامور التي تعقد الى حد كبير مهمة دراسة المجتمع الاقطاعي الذي تدور حوله وحول مراحله حتى اليوم اختلافات في الرأي ونقاشات لتحديد جوانب مهمة منه(٤) .

= الموضوع البكر الى حد كبير ، ان يستفيد كثيرا من تجارب الدراسات العلمية للاقطاع في الاصقاع التي تتشابه معها كردستان من حيث ظروف المكان .

(٤) على سبيل المثال نذكر ان الماركسيين الذين درسوا الاقطاع من الناحية النظرية بشكل أشمل من غيرهم لم يتفقوا كليا حول مواضيع معينة لها علاقة مباشرة بهذا النظام الاجتماعي . فلا يزال يدور نقاش علمي واسع بين علماء الاجتماع الماركسيين حول مسألة العلاقات الاقطاعية في بلدان الشرق .

واذا كان مثل هذا الحكم حول صعوبة دراسة الاقطاع شاملا ، فانه بالنسبة للشرق يتخذ طابعا اكثر تعقيدا . وهذا ما حدا بالعديد من المؤرخين الى انكار وجود العلاقات الاقطاعية أصلا في الشرق وذلك على أساس الاختلاف الواضح والحتمي بين المجتمعات الاوروبية والشرقية في العصر الوسيط ، مع العلم ان مثل ذلك التباين في التفاصيل لم يقتصر على الاقطاع بل سبقه واتبعه . فالمجتمعات الرأسمالية والاشتراكية تتشابه فيما بينها وتختلف في آن واحد . تتشابه من حيث النواميس الاساسية التي تحدد الاطار العام لنظمها ، وتختلف بحكم ظروف الزمان والمكان . وبالنسبة للاقطاع فبالرغم من جميع الاختلافات التأريخية المحددة والتباين حسب المكان فان توفر شرطين أساسيين يحددان طبيعة علاقات الانتاج أمر ضروري لاعتبار النظام القائم اقطاعيا ، هما أولا احتكار الطبقة المسيطرة لملكية الارض ، وثانيا استغلال هذه الملكية اقتصاديا على شكل قطع زراعية صغيرة ، أي توفر اقتصاد مستقل لدى الفلاح يرتكز على ملكية المالك الكبير (الدولة أو الاسياد) للارض مقابل ريع معين ، وهو ما لم يكن موجودا في المرحلة السابقة .

تتعقد مهمة باحث النظام الاقطاعي في الشرق أكثر عندما تستهدف دراسته مجتمعات شبه مغلقة كالمجتمع الكردي سابقا . ومما يزيد من صعوبة البحث ان العلاقات الاقطاعية في كردستان اتخذت اشكالا متباينة للغاية . فمنذ بدايات العصر الوسيط والى ما قبل عقود قليلة كانت تتعايش داخل المجتمع الكردي وحدات مشاعية ، وأخرى

متنقلة تشهد لتوها ميلاد العلاقات الاقطاعية(٥) ، وثالثة كانت مظاهر الاقطاع فيها اقتربت من الكمال لتدخل منذ القرن الماضي مرحلة الانحلال • وقد نجم كل ذلك عن ظروف موضوعية ارتبطت بواقع المنطقة الكردية وطبيعتها اضافة الى صلاتها وتفاعلها مع المجتمعات الاخرى المحيطة بها والتي قطع جميعها شوطا حضاريا أبعد من المجتمع الكردي نفسه •

من شأن ذلك بدوره تحديد أهمية كتاب «حول مسألة الاقطاع بين الكرد » الذي يدخل في عداد اولى المحاولات العلمية القليلة للخوض في هذا المجال الشائك(٦) • من جانب آخر يعتبر هذا الكتاب مساهمة في سلسلة الدراسات العلمية التي أجراها عدد من العلماء السوفيت بقصد تحليل المجتمعات الرعوية ، ولاسيما في آسيا الوسطى ، وذلك ضمن عمل جاد متعدد الجوانب استهدف تبني

(٥) استغرقت عملية ميلاد العلاقات الاقطاعية ونموها في بعض بلدان الشرق ، بما في ذلك بعض المناطق الكردية ، حوالي عشرة قرون ، مما يؤلف فترة زمنية جدا طويلة اذا ما قورنت بما كان عليه الامر في أوروبا الغربية مثلا •

(٦) هنا لابد من الاشارة بصورة خاصة الى سلسلة البحوث المبكرة التي قدمها المؤرخ ــ الاثنوغرافي و• فلچيفسكي في هذا المجال من قبيل : « مواد حول تاريخ التشكيلات الاجتماعية في كردستان » ، ــ « الاثنوغرافيا السوفيتية » ، لينينغراد ، العدد ٥ــ٦ ، ١٩٣٢ ، ص١٢٠ــ١٤٠ ، « اقتصاد المشاعية الزراعية الكردية المتنقلة في ما وراء القفقاس وما والاها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر » ، ــ « الاثنوغرافيا السوفيتية » ، العدد ٤ــ٥ ، ١٩٣٦ ، ص ١٣٥ ــ ١٦١ وغيرها من البحوث • (راجع كذلك الهامش رقم ٢٥ في موضوع « موقع الاوبا داخل العشيرة الكردية » في القسم التالي) •

أنجع وسائل التعامل معها(٧) • وقد حاول صاحب الكتاب في ضوء واقع المجتمع الكردي اثبات الموضوعة العلمية التي أثارها العلماء السوفيت في العقد الرابع حول وجود ما اطلقوا عليه اسم « الاقطاع المتنقل »(٨) •

---

(٧) بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية اصبحت دراسة مجتمعات آسيا الوسطى مهمة سياسية ـ اجتماعية ، اضافة الى كونها مهمة علمية كبيرة • من هنا توجهت أنظار العلماء الى هذه الناحية وتشكلت فرق خاصة لدرس مجتمعات قرغيزيا وغيرها • وامتدت دراسة العلماء السوفيت الى المجتمعات المتنقلة في الخارج ايضا اذ توصلوا الى نتائج متشابهة بالنسبة لقضايا مهمة عديدة في هذا المجال • وقد كرس ف• تاردوف احدى دراساته للبحث في خصائص علاقات الانتاج بين القبائل المتنقلة في ايران تطرق فيها الى مواضيع معينة تخص المجتمع الكردي ، وقد استند أ• شاميلوف الى بعض من آرائه (ف• تاردوف ، الخصائص الرئيسة لعلاقات الانتاج بين عشائر ايران ، ـ « مواد عن المشاكل القومية الكولونيالية » ، موسكو ، العدد ٣ (٩) ، ١٩٣٣) • كما تطرق ي•پ• پيتروشيفسكي في دراسته عن « الزراعة والعلاقات الزراعية في ايران في القرن الثالث عشر ـ القرن الرابع عشر » (موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٦٠) الى بعض النواحي المهمة للموضوع نفسه وبحث بدوره عددا من القضايا التي تخص المجتمع الكردي في تلك الحقبة التاريخية •

(٨) وضع هذا المصطلح من قبل ب• ڤلاديميرتسوف بعد دراسته للكيان الاجتماعي للمغول والتي بين فيها كيف ان التطور الاقطاعي كان هو الاساس في تحريك تاريخ منغوليا خلال الفترة الممتدة بين القرنين الحادي عشر والعشرين (للتفصيل راجع بحثنا « حول الاقطاع ودراسته في العراق » المنشور في مجلة « آفاق عربية » ، العدد الرابع ، ١٩٧٥ ، ص ٢٢ ـ ٢٩) •

بالرغم من أهمية الكتاب للاسباب التي تطرقنا اليها ، ولما يحتويه من معلومات قيمة واستنتاجات علمية جديرة بالاهتمام والتمعن ، فانه لا يخلو من عدد غير قليل من النواقص والمآخذ التي نحاول التركيز على أهم جوانبها كما يبدو لنا ، وذلك بقصد تقديم صورة أوضح حول الموضوع .

يأتي التعميم بالاستناد الى الخاص على رأس الثغرات التي تجابه من يحاول دراسة الكيان الاجتماعي والعلاقات الاقتصادية في كردستان . فان معظم الذين بحثوا هذا الموضوع الشائك بنوا اراءهم واستنتاجاتهم على أساس واقع سائد في منطقة كردية محددة ثم حاولوا في الغالب تعميمها على رقعة واسعة تضم ، بحكم ظروفها الطبيعية وواقع تاريخها ، شرائح اجتماعية في غاية التباين(٩) . وهذا ما نلاحظه ايضا في كتاب أ.شاميلوف الذي لا يخلو من خلط واضح بين الخاص والعام . ولكن الأمر لم يقتصر بالنسبة للمؤلف على هذه الناحية المبررة الى حد كبير . فهو الى جانب ذلك يختار أحيانا ما هو في صالح الكرد من منطلق نظري صرف . فعلى سبيل المثال انه يحاول دحض ما يذكره س.أ.يكيزاروف(١) من ان الكرد كانوا

---

(٩) ينطبق الواقع نفسه على معظم المجتمعات الاقطاعية الجبلية في العالم ، بما في ذلك المجتمعات الاسكندنافية في العصر الوسيط .

(١٠) س. أ. يگيزاروف من ابرز الاثنوغرافيين الارمن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . كان على اتصال وثيق بالاكراد ، يجيد لغتهم فترجم نصوصا منها الى اللغة الروسية ووضع بالاشتراك مع ل. ب. زاغورسكي « قاموسا روسيا ــ كرمانجيا » وآخر « كرمانجيا ــ روسيا » (١٨٩١) . درس =

في الماضي « يؤلفون جماعات بترياركية (ابوية) ديمقراطية يتمتع فيها الجميع ـ الاغنياء كالفقراء ـ بحقوق متساوية »(١١) • في الواقع لا يمكن تعميم قول يكيزاروف على كردستان القرن التاسع عشر كلها(١٢) ، ولكن لا يصح ، في الوقت نفسه ، تعميم عكس ذلك على كل المنطقة الكردية التي لم تخل الى عقود مضت من نماذج قريبة لتلك التي يتكلم عنها يكيزاروف(١٣) •

من المنطلق نفسه يبتعد المؤلف في العديد من تقييماته للهيكل

= المجتمع الكردي ، خصائصه مع ظروفه الاقتصادية والادارية التي كرس لها العديد من بحوثه ، مثل : « دراسة أثنوغرافية مختصرة لاكراد حاكمية يريفان » ، ـ « نشرة القسم الشرقي للجمعية الاركيولوجية الروسية الامبراطورية » ، الكتاب الثالث عشر ، الاصدارة الثانية ، تفليس ، ١٨٩١ • راجع مقالة الدكتور عبدالرحمن معروف عن س• أ• يگيزاروف في مجلة « بەیان » (العدد ٣٤ ، اذار ١٩٧٦ ، ص ١ـ٤)•

(١١) في ص١٠ من نص الكتاب •

(١٢) كان يوجد في بعض المناطق الكردية في اواخر القرن الماضي عدد من اكبر اقطاعيي الشرق ، فأن الثروة الشخصية لرئيس عشيرة حيدرانلي كوير حسين باشا كانت تقدر بما لا يقل عن ١٥٠ الف ليرة تركية ، وهي مبلغ ضخم حسب القوة الشرائية السائدة آنذاك ، وكانت تخضع له حوالي ٣٠٠ قرية • اما رئيس عشيرة جبرانلي فقد كان يعمل بأمرته حوالي ٨٠ ألف شخص • وكانت امكانات ابراهيم باشا الملي تقدر بأكثر من ذلك (عنه راجع الهامش رقم ٦ في موضوع « من خصائص الاقطاع الكردي وبدايات الانفجار » في ، القسم التالي) •

(١٣) مثل بعض « المناطق النقشبندية » المحصورة في بادينان وبعض اقسام درسيم وغيرها •

الاجتماعي في الريف الكردي عن الواقع ، بل وحتى عن الاطـــار العام للمفهوم النظري الذي يهتدى به • ففي كلامه عن «الانفصام الطبقي بين الحراس » التابعين لرؤساء العشائر المتنقلة(١٤) تحميـل للامر أكثر مما يحتمـل • فالظـروف الاقتصـادية والاجتماعيـة لكردستان ، وطبيعة التنقل فيها لم تكن لتسمح ، في الواقع ، بحدوث انفصام مبكر من هذا النوع حتى يمكن التوصل في ضوئه الى مثـل هذا الاستنتاج بصورة شاملة • فأقصى ما يمكن التحدث عنه في مثل تلك الحالات هو ظهور اختلافات طفيفة في التملك الفردي والموقع المعنوي المتميز الى حد ما لفئة صغيرة يكون افرادها ممن يثق بهـم الرئيس ويعتمد عليهم • وفي كل الاحوال لم يتخذ الانفصام الذي يتحدث عنه المؤلف طابع تناقض ملموس او محرك في معظم المناطق الكردية ، ان لم يكن في كلها • فالعلاقات الاقطاعية نفسها لم تجتز آنذاك المرحلة التي يحتدم بعدها التناقض بين قطبي المجتمع الاقطاعي الرئيس ـ مالك الارض(١٥) ومستغلها •

ومرة اخرى من المنطلق نفسه يبتعد المؤلف احيانا عن الواقع في تصويره لعدد من الالتزامات الاقطاعية • فان جمع «ثلاثة احزمة من الحطب للاقطاعي سنويا » ليس بشيء ذي بال في معظم المنـاطق الكردية التي تغطيها غابات طبيعية بعضها كثيفة • بينما يؤلف ذلك في رأى أ•شاميلوف «عبئا ثقيلا جدا »(١٦) • وهو يعتبر عدم جلوس

(١٤) راجع ص ١٩ ـ ٢٠ من نص الكتاب •
(١٥) بمفهومها العام ـ الارض الزراعية والمراعي وغيرها •
(١٦) راجع ص ٢٨ من نص الكتاب •

الاتباع في حضور الآغا من مظاهر التناقض والاختلاف داخل العشيرة ، بينما يرى في « توديع جميع الاسلحة في بعض الاحيان عند الخان او البيك او الاغا » مجرد « تعبير عن الطاعة والاخلاص في خدمة رئيس العشيرة »(١٧) • في الواقع يصلح هذا الاخير دليلا اكثر منطقية لتصوير مظاهر الاختلاف والتسلط ، مع ان توديع السلاح بقيمته الاستثنائية بالنسبة للحياة العشيرية أمر حتمته ظروف محددة كالخوف من سرقته، او استخدامه في غير غرضه الذي يريده رئيس العشيرة (كالثأر مثلا) •

في هذا المجال ايضا يذكر أ•شاميلوف ان التجار « عقدوا بدورهم وضع كادحي كردستان اكثر فاكثر » ، ودليله على ذلك انهم « كانوا يجبرون الحرفيين الماهرين للعمل من أجلهم »(١٨) • لا ينكر ان التجار عقدوا وضع الفلاح الكردي عن طريق الربا(١٩) وذلك منذ ان بدأ اقتصاد الاخير يخرج من نطاق الانتاج الطبيعي(٢٠) ، الا انهم لعبوا في الوقت نفسه دورا متقدما عندما

---

(١٧) راجع ص ١٩ ـ ٢٠ من نص الكتاب •

(١٨) راجع ص ٢٧ من نص الكتاب •

(١٩) راجع الهامش رقم ٢٢ في موضوع « موقع الاوبا داخل العشيرة الكردية » في القسم التالي •

(٢٠) «الانتاج الطبيعي» هو الانتاج الذي يخصص للاستهلاك الذاتي لا للتبادل ، وهو من صفات الحياة الاقتصادية في عهد ما قبل ظهور العلاقات والاساليب الرأسمالية في الانتاج • مع ازدياد التبادل يختفي هذا النوع من الانتاج ليحل محله الانتاج البضاعي • في بعض المناطق المتخلفة من العالم الثالث لا يزال الانتاج الفلاحي يحتل مركزا وسطا بين اسلوبي الانتاج الطبيعي والبضاعي •

تحولوا الى وسيلة تبادل بين الريف والمدينة ، مما أدى الى تنشيط الانتاج الحرفي وازدياد التبادل النقدي • ولو تطور هذا الشيء في مساره الطبيعي لساعد حتما في تسريع عملية انحلال العلاقات الاقطاعية وحدوث تحولات داخلية من شأنها تهيئة الظروف للانتقال، ولو ببطء ، الى مراحل اجتماعية اعلى • الا ان الاندماج بالسوق الرأسمالية العالمية قد حال دون تحقيق ذلك ، ولاسيما لانه تحول الى ضربة مميتة بالنسبة للانتاج الحرفي • ومما يدحض رأي المؤلف ايضا عدم توفر ادلة تشير الى تذمر الحرفيين او اشتراكهم في الانتفاضات والتحركات الفلاحية التي شهدتها كردستان والتي تطرق المؤلف الى بعض منها باختصار •

لكن يجب ان نشير كذلك الى ان المؤلف بالرغم من كل تأكيده على قضايا « الانفصام الطبقي » داخل العشيرة وبالرغم من تشديده على ذكر مظاهر الاستغلال فيها فانه لم يعط الجواب على سؤال اجتماعي - سياسي مهم هو : هل ومتى وكيف واين تحول الاستغلال الاقطاعي الى العامل الاساس والحاسم في خلق تناقضات عميقة داخل المجتمع الكردي ، وهل كان بامكان هذه التناقضات في ظروف كردستان الخاصة خلق الاطار العام للتحرك السياسى داخل المجتمع او في جزء واجزاء منه • لا ينكر ان تحديد هذه الامور بشكل موضوعي يحتاج الى دراسات عميقة في اطر محدودة واخرى شاملة ، كما لا يجوز فصلها عن جميع العوامل التي أثرت ، او كان بامكانها ان تؤثر في تحديد آثارها سلبا او إيجابا • ولكن مع ذلك كان على المؤلف الذي عاش في الريف، وعاصر الفلاح في مرحلة تغير

حساسة وشهد اكثر من ثورة وانتفاضة(٢١) ، اعطـــاء رأي علمي واضح حول هذه المسألة المهمة ، وان لا يقتصر عـلى تقديم صــور فولكلورية من الماضي تحتاج ، بالرغم من اهميتها ، الى تقص علمي دقيق •

من المسائل المهمة الاخرى التي يؤاخذ عليها مؤلف كتـــاب « حول مسألة الاقطاع بين الكرد » رفضه بشكل مطلق لكل ما هو بورجوازي ، بما في ذلك العلم البورجوازي • فان كتاب پ•ليرخ حســب رأي شاميلوف « يعكس السياســة الـكولونيالية للـدول الاوروبيـــة التي بدأت منـــذ القرن الثامن عشـر بالتغلغـــل في كردستان »(٢٢) • وپ•ليرخ هذا ليس ســوى واحـد مـن ابرز مستشرقي القرن التاسع عشر الذين اولوا الدراسات الكردية جانبـا كبيرا من اهتمامهم • فقد قضى سنوات عديدة من عمره في خدمـــة مخلصة للدراســات هــذه بحيث كـان زمـلاؤه يطلقون عليه اسم « الكردي الصغير » (٢٣) • وخلال عمله المثمر جمع پيوتر ليرخ (١٨٢٨ — ١٨٨٤) اسماء معظم المؤلفات الغربية في مجال الدراسات الكردية وكرس قبل اكثر من قرن ثلاثة اجزاء مـــن مؤلفاته(٢٤)

(٢١) المقصود هو الثورات والانتفاضات التي انفجرت في المنطقــة بأسرها والتي كان بامكانها التأثير على المجتمع الكردي •

(٢٢) راجع ص ٥ من نص الكتاب •

(٢٣) راجع : ب• م• دانتسيگ ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، باللغة الروسية ، موسكو ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢٨ •

(٢٤) پ• ليرخ ، دراسات حـول الاكـراد الايرانيين واســلافهم الكلدانيين الشماليين ، بطرسبورغ ، الكتاب الاول ، ١٨٥٦، الكتاب الثاني ، ١٨٥٧ ، الكتاب الثالث ، ١٨٥٨ •

للبحث عن الكرد وبلادهم فاستحق عن ذلك تقييما عاليا من جانب المستشرقين السوفيت وغيرهم فيما بعد(٢٥) • ومن نافلة القول ان ليرخ لم يفكر اصلا في أي هدف كولونيالي ، لذا فأن ما يؤاخذ عليه ليس ذلك ، انما اجتهاده في اصل الاكراد الذي استهل به شاميلوف كتابه • فهو يعتبر الكلدانيين في الطبعة الروسية من كتابه اسلافا للشعب الكردى ! (٢٦) •

---

(٢٥) اشادت مصادر عديدة باعمال ليرخ العلمية في مجال الدراسات الكردية • فبعد وفاته في العام ١٨٨٤ اصدرت أكاديمية العلوم الروسية الامبراطورية كراسا عن تاريخ حياته وجهوده العلمية ، اتبعته دراسات اخرى كثيرة تطرق معظمها الى اهتماماته بتاريخ الشعب الكردي ولغته • وقد بلغ اعجاب المتخصص في الدراسات الكردية الدكتور ك•ك• كوردوييف بليرخ حد انه اعتبره « واحدا من اكبر علماء الروس في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر » (راجع : ك• ك• كورديف ، اعمال ب• ي• ليرخ في الدراسات الكردية • حول مسألة دراسة تاريخ الكرد في روسيا ، في كتاب « دراسات في تاريخ الاستشراق الروسي » ، موسكو ، ١٩٥٩ ص ٣٩) •

(٢٦) هكذا سمى پيوتر ليرخ الاجزاء الثلاثة من كتابه مع انه قلما يتطرق الى العلاقات التاريخية بين أصل الكرد والكلدانيين • وحسبما يبدو فأن ليرخ نفسه احس بسرعة الخطأ الذي وقع فيه ، لذا نراه يصدر الجزئين الاول والثاني من كتابه باللغة الالمانية تحت عنوان يختلف عن عنوانه الروسي ، فقد أطلق عليه بالالمانية اسم « دراسات حول الاكراد والكلدان الشماليين الايرانيين » •

(Forschungen über die Kurden und die iranischen Nordchaldâen).

والفرق بين العنوانين ، من وجهة نظر علمية بحتة ، كبير وواضح ، وان كان العنوان الالماني للكتاب يستحق بدوره النقاش العلمي •

واذا كـان للمؤلف بعض التبرير في موقفـــه ذلك(٢٧) وفي محاولاته المتطرفة لتجسيد وتعميم الاستغـلال الاقطاعي والانفصـام الطبقي في الريف الكردي ، فانه لا عذر لديه في عـــدم تطرقه الى الجانب الاسوأ لذلك الاستغلال الذي تجسد ، بصورة خاصة ، في وضع قطاع واســـع مـن الفلاحين الارمـن في ظـل سيطرة الاقطاعين الاكراد(٢٨) مما كان يؤلف صورة واضحة لنظام الرق وعلاقاتـه ، ان لم يكن دائما فغالبا • وهنا يجدر بنا ان نشير الى انه كان في متناول يد المؤلف ثروة غنية من المصادر الاصيلة والمتنوعة في هذا المجال ، مما لم يكن في متناول غيره •

ومـــا دمنا بصدد الارمن فان رأيا آخر من آراء أ•شاميلوف يستحق النقاش ، وهو يتعلق بما يذكره عن اكراد مقاطعة يريفـان الذين يعتبرهم من سكانها الاصليين • وحجته في ذلك ان « في الاثر

(٢٧) كان الخط الفكري العام السائد في الاتحاد السوفيتي آنذاك يتسم بطابع متطرف مناهض لكل ما هو بورجوازي ، بما في ذلك البورجوازية الوطنية للشعوب المكافحة ، وذلـك حسـب المقولة الستالينية المعروفة : « لقـد القت البورجوازية رايـة النضال » (!) •

(٢٨) تعرض قطاع كبير من الفلاحين الارمن لابشع انواع الاستغلال من جانب الاقطاعيين الاكراد ، وقد بلغ ذروته في عهد السلطان عبدالحميد • تتوفر مصادر اصيلة مختلفة حول هذا الموضوع بشتى اللغات ، خاصة باللغة الارمنية التي يجيـدها المـؤلف (حول الموضوع راجع الفصل الخامس من كتابنا « كردستان في سنوات الحرب العالميـــة الاولى » (الطبعة الثانيـة ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٢٣٥ ـ ٣٠٢) •

التاريخي «شرفنامه»(٢٩) اشارة واضحة الى ان اجداد صلاح الدين المنتمي الى عشيرة (راوند) كانوا يتنقلون في القرن العاشر في منطقة دوين القريبة من مقاطعة يريفان »(٣٠) • لكن عراقة شعوب المنطقة واصالتها التاريخية التي تمتد جذورها الى عهود ابعد بكثير من اواخر الالف الاول للميلاد تدحض مثل هذا الرأي • فان الواقع القومي والحضارى والديني فرض في القديم حاجزا امام تغلغل كردي عميق مبكر يبلغ نقطة بعيدة مثل يريفان التي هي من ابعد اجزاء ارمينيا عن كردستان • والمعلومات الواردة في «اناباسيس» زينفون(٣١) ، والتي تعود الى القرن الخامس قبل الميلاد ، تظهر بوضوح الفاصل الطبيعي القائم بين منطقتي سكنى الكاردوخيين والارمن ، وبشكل كان يحول دون التداخل بينهما(٣٢) • من هنا فان وجود اقلية كردية في مقاطعة

---

(٣٠) راجع ص ٦ـ٧ من نص الكتاب •

(٣١) عنهما راجع الهامش رقم ١٨ في موضوع « نبذة تاريخية » في القسم التالي •

(٣٢) ساعدت المعلومات الواردة في « أناباسيس » على تحديد منطقة سكنى الكاردوخيين القدماء بشكل واضح • يشير صاحب الكتاب زينفون الى نهر كينتريتا (وهو نهر بوتان ، من فروع دجلة الشمالية) حدا فاصلا بين الارمن والكاردوخيين في القرن الخامس قبل الميلاد (راجع : زينفون ، أناباسيس ، الترجمة الروسية ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٥١ ، ص ١٠٠ ـ ١٠٢ ، ٢٦٩) • من الجدير بالملاحظة والتقدير ان الاستاذ صلاح سعدالله يرى ان من المحتمل ان يكون زينفون قد قصد باسم «كينترينا» واحدا من روافد دجلة الثلاثة : جوليرك أو بوتان أو الخابور (راجع : زينفون، مسيرة العشرة الاف عبر كردستان ، ترجمة صلاح سعدالله ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص ٢٦) •

يريفان هي نتيجة طبيعية لـ « نظرية الهجرة » التي « يبشـــر بهـا المؤرخون البورجوازيون » حسب تعبير شاميلوف ، وهي (اي تلك الهجرة) لا تدخل ضمن التحرك السكاني الطبيعي الـــذي شهدته المنطقة ، بل نجمت عن تغييرات متأخرة نسبيا بحكم عوامل محـددة تأتي عـــلى رأسها سيادة الاســـلام في تلك الاصقاع ، والاضطهاد العثماني هناك فيما بعـــد •

لم يعط التركيز في البحث المؤلف مجـــال الكشف بعمق عن قضايا مهمة وردت في الكتاب • ونتيجة للسبب نفسه ينتقل بسرعة ، واحيانا بشكل غير مترابط تماما ، مـن موضوع الى آخر ، الامـر الذي ولد بعض الارتباك في معالجته لعدد من المواضيع الواردة فـي الكتاب • ويتضح ذلك بصورة خاصة في التعاريف المكررة ، والمختلفة احيانا ، التي يقدمها المؤلف اثناء بحثه عن بعض التشكيلات العشيرية الخاصة من قبيل الـ « اوبا ـ هـوبه » والـ «جـول» والـ «پيـگار» وغيرها(٣٣) • كما ان المؤلف لم يعط معلومات وافية بطريقة علمية عن المصادر التي يستند اليها والمستشرقين الذين يستشهد بآرائهم او يناقشهم فيها (٣٤) ، مما يجعل فهم بعض الامور الواردة في الكتاب بشكل دقيق امرا صعبا لا بالنسبة للقـــارىء الاعتيادي فحسب ، بل بالنسبة للمتخصص كذلك • وقد حاولنا ملء هذا الفراغ في حدود المستطاع •

(٣٣) ترد تعاريف هذه التشكيلات في متن الكتاب نفسه •
(٣٤) على سبيل المثال يشير المؤلف في ص ٦ الى اسم مؤلف هـــو شوپيين بشكل مجرد ، اي دون ان يذكر اسمه كاملا او يشير الى المصدر الذي اقتبس منه رأيا من آرائه حول الاكراد •

توجد في كتاب « حول مسألة الاقطاع بين الكرد » قضـايا اخرى تستحق النقاش والتوضيح رأينا من الانسب حصرهـا فـي التعليقات التي الحقناها بمتن ترجمته • وهي بمجموعها لا تنتقص من اهمية الكتاب العلمية كمحاولة رائدة لا تخلو من عمق نظري وطافحة باستنتاجات ومعلومات مهمة بامكانها اعطاء صورة جيدة عن المجتمع الاقطاعي الكردي • وقد اسهمت حيـاة المؤلف كعـامل زراعي ، واختلاطه في طفولته وشبابه بالعشائر ، واطلاعه الواسع على الفولكلور الكردي ، في تعرف صاحب الكتاب عن كثب على قضايا كثيرة •

نبـذة من تاريخ حياة المؤلف

ولد عرب شامويقيج شاميلوف (عەرەبی شامو) في ٢٣ كانون الثاني من العام ١٨٩٧ في قرية سوسوز بمنطقة قارص • « كـان والدي ينتمي الى طائفة الشيوخ اليزيدية ، الا انه لفقره اضطر الى ان يعمل راعيا لدى اثرياء شعبه والارمن واليونان والاتراك » ـ هكذا يصف المؤلف انتمائه العائلي(٣٥) • جابه الفقر شاميلوف منذ نعومة اظفاره ، فاضطر الى ان ينزل الى ميدان العمل لمساعدة والده راعيا ، ثم انتقل الى قرية الـكسندروف حيث عمـل ودرس في مدرستها • واشتغل فيما بعد عاملا في احد معامل المنطقة نفسها •

(٣٥) جاء ذلك في رسالة خاصة بعثها أ• شاميلوف للمترجم فيها ملخص تأريخ حياته • استند المترجم في رواية تاريخ حياة شاميلوف الى ما ورد في تلك الرسالة وما رواه له في لقاءاتهما •

بعـــد اندلاع نيران الحــــرب العالمية الاولى توغلت القوات الروسية في الاراضي العثمانية والايرانية ، واحتكت بالاكراد مباشرة في العديد من المناطق ، فظهرت امام شامو فرصة العمل مترجما لدى احدى القطعات العاملة في هـــذه الجبهة براتب شهري قـــدره ٢٥ روبلا • الا انه فصل بعد عامين من عمله هـذا! فانتقل الى بلـــدة ساري قاميش ليشتغل عاملا من جديد • وكما يقول بنفسه انه احتك هناك لاول مرة بالمنظمات الثورية السرية العاملة في المنطقة ، ممـــا عرضه للاعتقال في اوائل العام ١٩١٧ • يعلق شامو باستهزاء على ما حدث له في الاعتقال فيقول : « عندما علم رجـــال الجندرمة بأنني كردي ، والكردي في رأيهم لا يمكن ان يصبح بلشفيا ، افرجــوا عني بعد ان اشبعوني ضربا على طريقة الاوباش المتخلفين » •

استبشر شامو بانهيار النظـــام القيصري فانتقل الى مدينـــة ستافروبول حيث تطوع في صفوف الجيش الاحمر واشترك لغايـــة اواخر العام ١٩٠٠ في العديد من المعارك(٣٦) التي انتهت بالنسبـــة له بجرحه ثلاث مرات ، اي بمعدل اصابة واحدة في السنة حسب تعليقـــه •

ظهرت امام « الراعي الكردي »(٣٧) فرص جديدة في العهد الجديد • فبعد انتهاء حرب التدخل ارسل الى معهد لازاريف للغات الشرقية بموسكو وتخرج منه بتفوق • بعد ذلك بدأت حياة شـــامو

---

(٣٦) يقصد بها المعـــارك التي وقعت في ســـنوات حرب التدخـــل الاجنبي في روسيا السوفيتية •

(٣٧) عنوان احد مؤلفاته المعروفة وهو يروي فيه قصة حياته •



المؤلف في الثمانين من عمره

الثقافية الحافلة . فقد انتقل الى يريفان عاصمة ارمينيا السوفيتية وساهم بنشاط في وضع الفباء كردي بالاستناد الى الابجدية اللاتينية، وفي تأسيس دار المعلمين الابتدائية للشبيبة الكردية التي اصبح مديرا لها ، وفي تأسيس اول جريدة كردية في الاتحاد السوفيتي بأسم « ريا تازه » (الدرب الجديد) التي اصبح اول رئيس تحرير لها .

اصبح شامو على اتصال مباشر باوساط الاستشراق ومؤسساته . ومن بين المستشرقين المهتمين بالدراسات الكردية يذكر بأعتزاز علاقته بالاكاديمي مار (٣٨) والاكاديمي اوربيللي (٣٩) . وعلى ما يبدو كان لتشجيع هؤلاء وعلاقاته بهم اثر كبير في توجهات شامو الثقافية المبكرة . فقد ركز في البداية (في العقد الرابع) على المسائل المتعلقة بالدراسات الكردية ، فنشر سلسلة من البحوث والمقالات في هذا المجال(٤٠) كان ابرزها قاطبة كتابه « حول مسألة الاقطاع بين الكرد » .

---

(٣٨) عن الاكاديمي مار راجع الهامش رقم ٤ في موضوع « نبذه تاريخية » في القسم التالي .

(٣٩) يوسف ابكاروفيج اوربيللي (١٨٨٧ - ١٩٦١) من ابرز المؤرخين والمستشرقين الارمن السوفيت ، رئيس فرع معهد شعوب آسيا (الاستشراق حاليا) في لينينغراد. اولى الدراسات الكردية عناية خاصة .

(٤٠) من مؤلفاته الاخرى في تلك الفترة : « يايلاقيو اگمگان » ، - « فجر الشرق » ، تبليس ، ١٦ أيار ١٩٢٦ ، « اكراد ما وراء القفقاس » ، - « الثورة والثقافة » ، موسكو ، العدد ١٥-١٦ ، ١٩٣٠ ، ص ٨٦-٨٩ . كما له عدد من المؤلفات باللغة الكردية تعود الى تلك الفترة من حياته ، مثل « حياة لينين » (١٩٣٠).



المؤلف بين افراد اسرته

اصبح شامو واحدا من ضحايا ما يطلق عليه اسم « عهد عبادة الفرد » في الاتحاد السوفيتي ، فقضى حوالي العقدين من خيرة سنوات عمره في المنفى • « لقد اشتركت في بناء كل خطوط السكك في سيبيريا » ـ هكذا يعلق على تلك الفترة العصيبة من حياته • الا انها لم تفت من عزيمته • فما ان اعيد له الاعتبار حتى عاد الى ميدان الفكر والعمل المثمر كاتبا قصصيا لم ير الادب الكردي المعاصر له مثيلا ، بل يكاد يكون القاص الكردي الوحيد الذي ارتقى الى مصاف الادب العالمي • فقد ترجمت قصصه الى عدد من

اللغات السوفيتية والاوروبية ، وطبعت منها مئـات الالوف مـن النسخ(٤١) •

هكذا استحق الاديب الكبير كل تقدير عن جدارة ، فقد منح العديد من الاوسمة والالقاب الرفيعة ، منها لقب « الجـدارة في الادب » الذي اعطي له بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاده السبعين فـي اجتماع كبير اقيم خصيصا في يريڤان لهذا الغرض • وفي ٢٣ كانون الثاني من عام ١٩٧٧ جرى احتفاء واسع على اصعدة مختلفة بمناسبة عيد ميلاد أ•شاميلوف الثمانين باعتباره « كاتبا وعالما معروفا ، وواحدا من مؤسسي الادب الكردي السوفيتي ، وشخصية اجتماعية نشطة ، وعضوا في الحزب الشيوعي السوفيتي منذ العام ١٩١٨ »(٤٢) •

يتمتع أ•شاميلوف ، ومؤلفـاته الادبيـة ، بسمعة كبيرة بين الاوساط الثقافية الكردية في العراق • فقد نشر العديد مـن المثقفين الكرد العراقيين مقالات عن تاريخ حياته ونتاجاته العلمية والادبية ، وقام المجمـع العلمي الـكردي بطبـع روايته الذائعـة الصيت

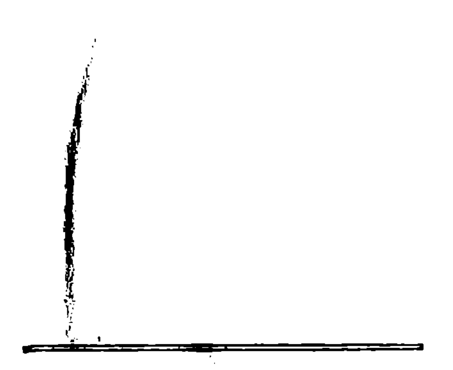
---

(٤١) من قصصه المعروفة والمترجمة الى عدد من اللغـات « الراعـي الكردي » و « دمدم » و « الطريق الى السعادة » • طبعت من روايته انتأريخية « دمدم » في العام ١٩٦٩ ثلاثون الف نسخة باللغة الروسية ، اما « الطريق الى السعادة » فقد طبعت منها في ترجمتها الروسية ٧٠ ألف نسخة في العام ١٩٧١ •

(٤٢) هذا ما ورد نصا في البرقية المطولة الحارة التي بعثتها لـه سكرتارية اتحاد الكتاب السوفيت ومجلس الادب الارمنـي والتي نشرتها صحافة موسكو ويريڤان (راجع : « ليتراتورنايا غازيتا » (الجريدة الادبية) ، لسان حـال اتحاد الكتـاب السوفيت ، باللغة الروسية ، موسكو ، ١٩ شباط ١٩٧٧) •

« دمدم »(٤٣) • وتقديرا للمكانة الرفيعة التي يتمتع بها انتخبته المؤسسة نفسها عضوا مؤازرا ، وقد رحبت الاوساط العلمية والثقافية السوفيتية بذلك وقيمته عاليا(٤٤) • واليوم اذ نقدم نتاجا علميا مهما من نتاجات أ•شاميلوف فاننا نرجو ان يساهم ذلك في القاء الضوء على موضوع حساس وفي التعريف اكثر بالاديب والعالم الكردي المعروف ، وليكن ذلك ايضا هدية تقدير متواضعة منا له وللقراء بمناسبة عيد ميلاده الثمانين(٤٥) •

المترجم



(٤٣) نشرها المجمع العلمي الكردي في العام ١٩٧٥ ، وقد قام الاستاذ شكور مصطفى بنقلها الى اللهجة الكرمانجية الجنوبية• يجرى حاليا اعداد طبعة ثانية للكتاب •

(٤٤) نشرت الصحافة السوفيتية نبأ اختيار أ• شاميلوف عضوا مؤازرا في المجمع العلمي الكردي (راجع مثلا جريدة « كومونيست » ، يريفان ، ١٧ كانون الثاني ١٩٧٣) •

(٤٥) كتبت المقدمة قبل وفاة عەرەبی شامو بعامين •

حول مسـألة الاقطـاع
بين الكـرد

تعتبر دراسة تأريخ تطور الاقطاع بين الـكرد من أعقـد المواضيع ، وهذا التعقيد ناجم في الاساس عن عـدم توفر المصادر المدونة عن تاريخ الكرد(٢) ، وكذلك عن أدبهم الشعبي ولغتهم وكل ما يتعلق بالمعلومات الاركيولوجية • لكن العائق الاهم امام دراسة مسائل الاقطاع يكمن في طبيعة المجتمع الكردي نفسه ، وبالاخص ما يتعلق باحتفاظ كثير من العادات والتقاليـد والعلاقات العشيرية ، بطابعها المتنقل وشبه المتنقل ، بقوتها «بين بعض العشائر»(٣) لفترة

---

(١) العناوين الفرعية وضعت من قبلنا ـ المترجم •

(٢) ان المصدر المدون الوحيد الذي وصلنا هو « شرفنامة » ، وقد كتبها شرف الدين في القرن السادس عشر ـ المؤلف • الـف الامير الكردي شرفخان البدليسي في العقد الاخير من القرن السادس عشر اثره المعروف الذي جلب انتباه العديـد من المستشرقين وجميع دارسي تاريخ الكرد منذ القرن التاسع عشر • ترجمت « شرفنامة » الى العديد من اللغات ، منهـا ترجمتـان عربيتـان طبعت احداهما في القاهرة والاخرى فـي بغـداد ـ المترجم •

طويلة من الزمن ، مع العلم ان الحقائق والاستنتاجات التي توصل اليها ن.مار(٤) تبين بوضوح ان الكرد كانوا منذ عهد بعيد أصحاب حضارة متقدمة ، وانهم قطعوا خلال تطورهم عددا من المراحل التأريخية .

في الواقع ان أهمية توضيح المراحل الاساسية لتطور المجتمع الكردي لا تقتصر على الناحية النظرية البحتة ، بل له كذلك أهمية مباشرة بالنسبة لمسألة بناء الاشتراكية بين الكرد(٥) ، خاصة لان عدم وضوح الرؤيا لدى الموظفين المحليين بالنسبة للكيان الاجتماعي الكردي بكل تعقيداته ، والتقصير في تقيم أهمية الاقطاعيين الكرد الذين يستغلون العلاقات العشيرية بين اتباعهم لصالحهم(٦) ، وكذلك

---

(٣) هكذا ورد في النص ـ المترجم .

(٤) ن. يا. مار ، مرة اخرى حول كلمة « چلبي» ، ـ « نشرة القسم الشرقي للجمعية الاركيولوجية الروسية » ، الجزء ٢٢ ، الاصدارة ٢ـ٣ ، ١٩١٧ .
الاكاديمي نيكولاي ياكوفلفيج مار (١٨٦٤ـ١٩٣٤) من ابرز علماء اللغة والاثار الروس . صاحب عدد من النظريات اللغوية التي أثارت جدلا علميا واسعا . له بعض الدراسات عن الكرد ولغتهم ـ المترجم .

(٥) يقصد أكراد الاتحاد السوفيتي ـ المترجم .

(٦) لا يخلو ذلك من بعض التطرف . فان العلاقات الاقطاعية بين اكراد روسيا كانت ضعيفة بالاساس لان معظمهم كانوا من المتنقلين غير المتمكنين ، ومن اناس متفرقين عبروا الحدود تحت ضغط العثمانيين . كما ان قسما منهم بدأوا يعيشون داخل حدود الدولة الروسية بعد ان انتقلت اليها مراعيهم في قرەباخ وذلك بموجب « معاهدة گلستان » التي عقدت بين ايران وروسيا في تشرين الاول من العام ١٨١٣ . كان الاجدر

التقصير في تقييم القضية الكردية في اطارها العام ، أدى الى ارتكاب اخطاء سياسية في خضم الصراع الدائر(٧) • ولكن فضلا عن الاهمية السياسية المباشرة لدراسة مشاكل الاقطاع الكردي ، فانها مفيدة في الوقت نفسه لحل مشاكل الاقطاع المتنقل بشكل عام(٨) • ومهمة هذا الكتاب لا تتعدى تحديد صيغة أهم مشاكل الاقطاع الكردي •

★ ★ ★

عندما يتطرق علم التاريخ البورجوازي الى القضية الكردية يحاول دائما تحقيق أهدافه الكولونيالية عن طريق ارجاع أصل الاكراد بشكل مصطنع الى « عنصر » أو آخر • وقد ناقش انصار النظرية القائلة بالانتماء الآري للكرد موضوع « الى أي فرع من

= بالمؤلف ، كما نعتقد ، التأكيد على دور وموقع الزعماء الروحانيين اليزيديين ـ المترجم •

(٧) وقعت خلال السنوات الاولى لاقامة السلطة السوفيتية أحداث دموية في بعض المناطق الكردية ـ المترجم •

(٨) راجع : پوگريلسكي وبتراكوف ، اقتصاديات آوول (قرية في جبال القفقاس ـ المترجم) المتنقل ، كوشنير (كنيشيف) ، قرغيزيا الجبلية ، گلوخوف ، من البترياركية الى الاشتراكية• ان اهم تعليل صحيح لاقتصاديات المتنقلين جاء في دراسة س• تولستوف : « حول ميلاد الاقطاع في المجتمعات المتنقلة والرعوية » • ولكن حتى في هذه الدراسة توجد بعض المواضيع القابلة للنقاش ، منها التأكيد على حتمية انحدار النظام الاقطاعي من نظام العبيد ، والتأكيد على ظهور الاقطاع من خلال علاقات « سويين » المرهقة ، اي نتيجة اعطاء الحيوانات للرعي وما شابه • ينوي صاحب هذا الكتاب مناقشة دراسة س• تولستوف بتفصيل اكثر في مقال خاص ـ المؤلف • لم =

الاصل الايراني ينتمي تاريخيا الكاردوخيون بالذات » (٩) • فنظر المؤرخون الارمن ، من أصحاب وجهة نظر معينة ، الى الكرد كأحفاد للميديين القدماء « المعروفين في التاريخ الارمني باسم ـ مارك(١٠) والذين أسكن ملوك الارمن قسما منهم بعد سقوط ميديا في منطقة كورد أو كورديك (كردستان الحالية) ، ومن هنا اكتسب الميديون اسما جديدا هو الكرد »(١١) • وحسب رأي مؤرخين أوروبيين آخرين فان « الكرد هم أحفاد الكلدانيين الايرانيين القدماء الذين اقتحموا في عهد سحيق في القدم حوض نهر دجلة ، واستطاعوا ، بعد اخضاع القبائل السامية الضعيفة ، تأسيس دولة الشرق القوية ـ الآشورية والبابلية »(١٢) •

في الوقت نفسه حاول عدد من العلماء الاوروبيين اعتبار الكرد

= ينشر أ• شاميلوف ، حسب معلوماتنا ، مثل هذا المقال ـ المترجم •

(٩) س• أ• يگيزاروف ، دراسة أثنوغرافية مختصرة لاكراد حاكمية يريڤان ، ـ « نشرة الجمعية الجغرافية الروسية فرع القفقاس » ، الكتاب الثالث عشر ، الاصدارة الثانية ، تفليس ، ١٨٩١ ، ص ٥ •

(١٠) ان اسم الكرد القديم في لغة الارمن هو (مار أو مارك) الذي يقابل ، حسب قواعد اللغة الارمنية ، الاسم القديم للميديين (للتفصيل راجع : ف• مينورسكي ، الاكراد احفاد الميديين ، ترجمة وتعليق الدكتور كمال مظهر احمد ، ـ « مجلة المجمع العلمي الكردي » ، العدد الاول ، ١٩٧٣ ، ص ٥٥٢ـ٥٦٣) ـ المترجم •

(١١) أ• يگيزاروف ، دراسة أثنوغرافية مختصرة لاكراد حاكمية يريڤان ••• ، ص ٥ •

(١٢) المصدر نفسه •

منهم وذلك بالنظر اليهم كهندو ـ أوروبيين • ويعكس كتاب ب• ليرخ السياسة الكولونيالية للدول الاوروبية التي بدأت منذ القرن الثامن عشر بالتغلغل في كردستان ، فقد كتب بصراحة يقول « اذا كان للكرد الآن بحد ذاتهم أهمية غير قليلة ، فمن جانب آخر يجب ان تزداد هذه الاهمية في أيامنا (أي في الخمسينيات من القرن التاسع عشر) » • وان ب•ليرخ عندما ينسب الكرد الى عدد قليل من العشائر ويعطي الاوروبيين بعض الامل في انتعاشهم حيث أظهروا « الاستعداد لتقبل حياة جديدة ومتطورة » ، فانه يصل الى الاستنتاج بان الكرد ، لهذا السبب ، « يجلبون أكثر من الترك انتباه أقربائهم الهندو ـ أوربيين »(١٣) •

اما گارزوني ، عضو « جمعية الدعاية لروما في الشرق » والذي عاش ١٨ عاما (١٧٦٤ ـ ١٧٨٢) مبشرا بين الاكراد ، فانه يرى ان « الكرد هم من الرومان القدامى الذين انتقلوا الى جبال العمادية »(١٤) • ويعبر س•أ•يگيزاروف عن الامل في ان المقارنة

---

(١٣) ب• ليرخ ، دراسات حول الاكراد الايرانيين واسلافهم الكلدانيين الشماليين ، الكتاب الاول ، ١٨٥٦ ، ص ٢ (الاقوال مقتبسة من ص ٢و٣ من كتاب ليرخ المطبوع في بطرسبورغ ، المترجم) •

(١٤) گارزوني ، الاكراد ، ص ٣ـ٥ ، المقدمة • (يقصد المؤلف الايطالي M. Garzoni ، واسم كتابه الكامل هو " Grammatice e vocabolario della lingua Kurda ".

وقد طبع لاول مرة في روما في العام ١٧٨٧ واعيد طبعه للمرة الثانية في العام ١٨٣٦ • تقع الطبعة الثانية من الكتاب في ٤٩١ صفحة ـ المترجم) •

اللغوية الهندو ـ أوروبية تساعد كثيرا في حل مسألة تحديد أصل الكرد • وان س•أ•يگيزاروف عندما يصل الى استنتاجه « الصحيح »(١٥) حول كون « اللهجة الكرمانجية التي تستخدم من قبل الاكثرية الساحقة من الشعب الكردي لغة مستقلة لها صلة قربى وثيقة مع اللغة الفارسية »(١٦) معززا ذلك بمعلومات أنثروپولوجية(١٧) ، انما يحاول بهذا الاسلوب ربط الكرد بالهندو ـ أوروبيين أكثر من الشعوب الاخرى •

والواقع أن انعدام الاثار الوثائقية المدونة لدى الاكراد لايعطي المجال للبحث عن تاريخ الكرد بشكل محدد تماما ، ولكن مما لاشك فيه ان الكرد يؤلفون واحدا من شعوب آسيا العريقة • وقد كتب المؤلف اليوناني زينفون ـ وهو أول من دون عن ظروف الكرد الحياتية ـ انه اثناء انسحابه مع العشرة آلاف يوناني(١٨) عبر

---

(١٥) هكذا ورد في النص ويقصد به المؤلف عدم اتفاقه مع استنتاجات س٠ أ٠ يگيزاروف حول الموضوع ـ المترجم ٠

(١٦) س٠ أ٠ يگيزاروف ، المصدر السابق ، ص ٦ ٠

(١٧) انثروپولوجيا ـ علم السلالات البشرية ـ المترجم ٠

(١٨) اشترك الكاتب والفيلسوف اليوناني القديم زينفون (كسينفون) (حوالي ٤٣٠ـ٣٥٥ او ٣٥٤ قبل الميلاد) في الحملة اليونانية المعروفة على ايران في العام ٤٠١ ق٠ م٠ وذلك أثناء النزاع على عرشها ٠ بعد مقتل قائد الحملة كورش أخذ زينفون على عاتقه قيادة اليونانيين في عملية انسحابهم عبر مناطق شاسعة من الشرق الاوسط ٠ وقد كتب زينفون فيما بعد كتاب « اناباسيس » (حرفيا : عروج ، صعود ٠ مجازا : التحرك او التستر في اعماق البلاد) ضمنه ملاحظاته الشخصية عن مسيرة العشرة الاف يوناني في تقدمها =

كردستان الحالية في ٤٠١ ق٠م ٠ قد اصطدم مع الاكراد « الكاردوخيين » ٠ ولدينا ايضا عدد من الاشارات للكرد أبداها مؤرخون قدماء من يونانيين وجورجيين وأرمن وعرب وغيرهم ٠ كما ان الكرد كانوا معروفين بشكل جيد لدى الجغرافيين اليونان في اوائل عصور ما بعد الميلاد ، فقد ذكر الجغرافيان سترابون وبطليموس وغيرهما منطقة كاردوين التي كانت احدى مدنها تسمى بـ (پانيكا) وكانت تقع على نهر دجلة (يلفظ الكرد حرف ـ پ في هذا الاسم بصوت حلقي مرخم)(١٩) ٠

ولا يصح عدم التطرق هنا الى (نظرية الهجرة) التي يبشر بها المؤرخون البورجوازيون ٠ فقد اعتبر شوپين الكرد دخلاء(٢٠) ، فكرد مقاطعة يريڤان (٢١) في رأيه قد أتوا من منطقة أخرى ما ٠ وهذا رأي خاطىء قطعا ، فاننا نجد في الاثر التاريخي «شرفنامة»(٢٢)

= وانسحابها ، وعن المناطق التي مرت بها تلك القوات ٠ في هذا الكتاب معلومات تأريخية مهمة للغاية عن الكاردوخيين ومنطقة سكناهم التي كان يصعب تحديدها على المؤرخين من دونها بمثل تلك الدقة التي اصبح بالامكان استنباطها من خلال المعلومات الواردة في « اناباسيس » ـ المترجم ٠

(١٩) توجد اسطورة كردية غير مدونة عن مدينة پانيكا ـ المؤلف ٠

(٢٠) يقصد اكراد أرمينيا ٠ اما شوپين فاغلب الظن هو ي٠ شوپين الذي نشر في أواسط القرن الماضي بحوثا عديدة عن أرمينيا باللغة الروسية تطرق في قسم منها الى اكراد المنطقة ـ المترجم ٠

(٢١) روسيا القيصرية كانت مقسمة الى عدد كبير من المقاطعات أو الولايات ، يريڤان كانت واحدة منها ـ المترجم ٠

(٢٢) «شرفنامة » ، الجزء الاول ، القسم الثاني ، ص ٧٦ ٠ (يبدو ان المؤلف اعتمد على الترجمة الفرنسية لـ «شرفنامة» =

اشارة واضحة الى ان أجداد صلاح الدين المنتمين الى عشيرة (راوند) كانوا يتنقلون في القرن العاشر في منطقة دوين القريبة من مقاطعة يريڤان • وقد حكم الكرد الشداريون(٢٣) في جنوبي ما وراء القفقاس خلال القرنين العاشر والحادي عشر(٢٤) وقد بنوا مسجدين في آني(٢٥) •

نتوقف عند هذا الحد عن البحث في اصل الشعب الكردي ذلك لان دراسة الكيان الاجتماعي ـ الاقتصادي للمجتمع الكردي هي أهم ما يهمنا في هذا الكتاب •

= التي انجزها البروفيسور ف· ب· شارموا خلال الفترة ١٨٦٨ـ١٨٧٥ ، وهي الوحيدة التي تقع في اربعة اقسام · وقد طبع القسم الثاني من الجزء الاول في العام ١٨٧٠ ـ المترجم) ·

(٢٣) الصحيح الشداديون ـ المترجم ·

(٢٤) ظهرت الامارة الشدادية في شمال ايران واستمر وجودها خلال الفترة من العام ٩٥١ م حتى العام ١١٧٤ م · ومنذ البداية امتد نفوذ الاسرة الشدادية الكردية الى ارمينيا · ففي اواسط القرن العاشر تمكن محمد بن شداد من تثبيت سيطرته في دوين الواقعة على بعد ٣٥ كيلو متر جنوبي يريڤان ـ المترجم ·

(٢٥) ن· مار ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ ·

موقع الرعي
في المجتمع الكردي

يزاول قسم من الشعب الكردي حياة التنقل ، وقسم آخر منه نصف متنقلين ، اما اكثريته الساحقة فتزاول حياة الاستقرار ، وهم زراع يفلحون ارضا محدودة ، امـــا مهنتهم الرئيســة فهي رعي الحيوانات ، لكنه منظم بدوره على أساس الاستقرار(١) • وتربيـة الاغنام هي النموذج في الحياة الاقتصادية للاكراد المتنقلين ، فـكان الغنم دليل الثروة ، كان يعطي الاعتبار والاحترام ، يعطي القـــوة وامكانية اخضاع القسم الاخر من المواطنين الاكراد • واصبح الغنم بمثابة أول عملة بدأ التبادل بواسطته ، وهو لا يزال يلعب الى حـد ما الدور نفسه(٢) • والغنم بتحوله الى وحدة عملة التبادل قـد لعب بين العشائر المتنقلة دورا مهما في عملية أول انقســـام للمجتمع الى طبقات ، وهو بذلك أعطى زخما كبيرا لمسار تطور المجتمع الكردى • فكما يشير ف•أنجلس كان انفصام القبـــائل الرعوية عن بقيـــة المجموعات المتوحشة(٣) أول أكبر تقسيم عمل اجتماعي •

---

(١) يوجد في الوقت الحاضر بينهم « توز » (اي التعـــاون فـــي فلاحـــة الارض) وجماعـــات تعاونيـــة تتألف مـــن الفقراء ومتوسطي الحال ـ المؤلف • في مناطـق ســـوران يطلق على مثل هذا التعاون اسم « هەرەوەز » ـ المترجم •

(٢) يقصد بالنسبة للعقد الرابع من القرن العشرين ـ المترجم •

(٣) في النص : البرابرة ـ المترجم •

ان الكثيرين من الكرد ، او بالاحـــرى أكثريتهم ، يعرفون تاريخهم عن طريق الاساطير المتداولة • لكن هذا التاريخ الشفاهي معرض الى حد كبير للتشويه والتكييف حسب مصلحة راويه ، أو للضياع بشكل عام • الا ان بالامكان عن طريق درس هـذا التراث غير المدون كشف العلاقات الاجتماعية ـ الاقتصادية المتبادلـــة التي كانت سائدة في وقت ما • وقد بدأ الكرد بالتدريج ، شأنهم في ذلك شأن القبائل الرعوية الاخرى ، بأنتـاج بضائـع استهلاكيـة بكميات أصبحت قابلة للتبادل • فهذه اسطورة حامي أو اله الغنم التي تحمل عند الكرد اسم « پيري مام شوان » (العم الراعي) والتي تقول ما نصه : « ان الغنم هو ذلك الحيوان الذي اعطانا الحيوية (النشاط) لاول مرة • انه مصدر غذائنا ، وقد بدأنا نبـادله بالسـلاح الـذي استقينا منه القوة لمقارعة أعدائنا » ، أي مقارعة الذين كانوا يستولون على ارض الترحال والمراعي ، ويغتصبون قطعان الكرد •

وأرى من المناسب ان اورد هنا من الاسطورة نفسها « پيـري مام شوان » قصة تدجين أول حيوان • فهذه القصة تعطي مفتـــاح التحليل التالي لاقتصاديات الرعاة بصورة عامة ، والاكراد بصـورة خاصة • تقول الاسطورة بهذا الصدد « ان اول تدجين للحيوان قد تم من جانب الرجل • ولا يمكن ان يصبح فضل(٤) (تدجين ـ المترجم) الماشية من نصيب المرأة • ولا داعي لان يفكر احـــد في ذلك أصلا » • وفي الواقع من الضروري ربط عدد من التقاليـــد الشائعة بين بعض العشائر الكردية بهذا الامر • فمثـلا ان رعايـة

(٤) في النص : بطولة ـ المترجم •

الضأن خلال الايام الاولى من بعد ولادته مباشرة تقع على عاتق الرجل ، ولا يجوز للمرأة ان تقترب من الضأن الوليد أو البقرة الوليدة الا بعد مرور أيام عدة على الوضع . وتقول الاسطورة نفسها ان المرأة التي لا تراعي هذه القاعدة وتذهب قبل الرجل الى الحيوان الوليد تسبب في ان يصيب (سواء أكان ضانا أم بقرة) بـ « گوانكي بقه » أي انه لا يقدم الحليب ، ولا ينجب ، ولا يعطي النسل . والبنت التي تتزوج تزور والدها بعد مرور سنة كضيفة ، فيقدم لها بقرة أو ضأنا قائلا لها : « خذيها ، فعلى أي حال انك لا تستطيعين الحصول عليها » . والبقرة التي تهدى للبنت المتزوجة أثناء زيارتها تصبح ملكا خاصا بها لا يحق لاحد التطاول عليها .

لكن الرعي ، بالرغم من أهميته الكبيرة ، لا يؤلف لدى الكرد المهنة الرئيسة الوحيدة . وفي الواقع من الصعب ان تجد أي مجتمع يزاول الرعي وحده دون ان يمتهن الزراعة ايضا . وقد كتب عن الكرد پ. ليرخ نفسه يقول « انهم (أي الاكراد ـ المؤلف) يزاولون زراعة الحبوب بقدر ما يحتاجون للاستهلاك الشخصي ولتغذية حيواناتهم البيتية ، وهم يفلحون في الغالب الذرة والقمح والشعير والرز ، وينتجون التبغ أيضا . الا ان الثروة الرئيسة للكرد تتألف من قطعان الضأن والجاموس والبقر والماعز والخيل والجمل »(٥) .

هكذا فبالرغم من طغيان الوصف الكيفي للكرد في الادبيات

---

(٥) پ. ليرخ ، المصدر السابق ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

البورجوازية كـ « رعاة أبديين » ، الا ان هذه الادبيات لم تستطع عدم اقرار حقيقة ان الكرد قد زاولوا الزراعة بنفس مستوى مزاولتهم للرعي . وهنا يجب الا نغض الطرف عن النظرة غير الصائبة السائدة بين بعض دارسي المجتمعات الرعوية الذين يقولون، بالاستناد الى دراساتهم للاقتصاد الرعوي في كازاخستان وقرغيزيا وكالميكيا(٦) ، ان بامكان الاقطاع ان يتطور في المجتمعات الزراعية الصرفة ، ويولون من خلال ذلك اهتماما خاصا بمسألة الري الاصطناعي، واضعين بذلك الرعي في طرف مقابل (مناقض ـ المترجم) للاقطاع . ومما يدحض مثل هذا الرأي أكثر اننا نجد بين الكرد حالات تكون الارض فيها ملكا للدولة التركية ، بينما اسلوب الاستغلال فيها ، وكذلك شكل استلام فائض المنتوج منها ، أو شكل ارتباط الفلاح ـ الراعي بها ، اقطاعي .

---

(٦) تقع جميعها في آسيا الوسطى وشمال القفقاس ـ المترجم .

تكوين القبيلة الكردية
وبداية الاستقطاب فيها

لم يربط لينين ، كما يعتقد عدد من المؤرخين ، العلاقــات الاقطاعية بالملكية الفردية للارض بشكل مطلق • فيجوز الا يقتصر وجود الاقطــاع فقط عــلى المناطق التي تكون فيها ملكية الارض فردية ، بل يوجد ايضا حيث تكون ملكية الارض تابعة للدولة التي تعبر عن مصالح الاقطاعيين ، لان علاقة الانتاج بوسائله ، وكـذلك اسلوب الحصول على فائض المنتوج يكونان في الحالتين متشابهين(١)• وفي الواقع يمكن الحصول عــلى فائض العمل عن طريق الالزام اللااقتصادى(٢) ، ومن فائض منتوج الفلاح بالذات بأساليب مختلفة جدا ، أي يمكن الحصول عليه بشكل عيني أو نقدي أو بالسخرة ، واخيرا على صورة أتاوة يدفعها حرس البيك الكردي عن الفلاحين المقهورين من جانبهم •

وفي الوقت نفسه لم يضع لينين مفهوم الاقطاع في طرف مقابل

---

(١) يعتبر جنوب العراق ، وبصورة خاصة حوض دجلــة ، في العهد الملكي وقبيل الحرب العالمية الاولى نموذجــا واضحــا لمثل هذا النوع من علاقات التملك والاقطاع ـ المترجم •

(٢) يقصد بالالــزام اللااقتصــادي جميــع انــواع الالتزامـات الاقطاعية التي لا تدخل ضمن العملية الانتاجية الصرفة مثـل ضريبة الزواج وضريبة الموتى وما شابه ـ المترجم •

لمفهوم نظام الرق الاقطاعي(٣) • فالعلاقات الاقطاعية عند لينين ، كما عند ماركس ، هي أشكال الاستغلال التي تعتمد على الانتاج الفلاحي الصغير •

عندما نقرأ الادبيات القليلة الموجودة عن الكرد نجد أصحابها يصورونهم دائما ، ولسبب ما ، وكأنهم يعيشون في ظروف « العلاقات البترياركية (الابوية) والقبلية » • فحسبما يذكر بختادزي ان الكرد يدارون من قبل مجالس للشيوخ يختار من بين أعضائها رئيس العشيرة(٤) • أما في رأي س•أ•يگيزاروف فان « الكرد يؤلفون جماعات بترياركية (أبوية) ديمقراطية يتمتع فيها الجميع ـ الاغنياء كالفقراء ـ بحقوق متساوية »(٥) • من هنا نرى ان

---

(٣) مظاهر هذا النظام واضحة بشكل خاص في المجتمعات الاوروبية الاقطاعية السابقة • كان الاقطاعي ، بموجبه ، يملك الفلاح وقوة عمله وما لديه من حاجيات ، يحق له بيعه مع الارض ، لكن لم يحق له قتله كما كان عليه الامر في مرحلة ما قبل الاقطاع ، وهذا هو الذي يميز وضع الاقنان الاجتماعي عن وضع العبيد ـ المترجم •

(٤) بختادزي ، متنقلو منطقة ما وراء القفقاس ، ـ « مجموعة المواد لدراسة الحياة الاقتصادية للفلاحين الحكوميين في ما وراء القفقاس » • (يقصد بحث ي• ل• بختادزي المنشور في الجزء الثالث من المجموعة المذكورة الصادرة في تفليس في العام ١٨٨٨ • تطرق بختادزي في بحثه الى قضايا مختلفة من حياة وعادات العشائر الكردية المتنقلة في ما وراء القفقاس ـ المترجم) •

(٥) س• أ• يگيزاروف ، المصدر السابق ، ص ١٧ • (يشير المؤلف هنا الى انه وضع خطا خاصا لابراز بعض أقوال يگيزاروف ، لكن في النص المطبوع لا توجد اي اشارة تمييز ـ المترجم) •

المؤرخين البورجوازيين يحاولون تصوير الأمر وكأن التملك الفردي كان موجودا لدى الكرد منذ البداية(٦) • لكن ، بالرغم من ذلك ، كان مجتمعهم (في رأيهم ـ المترجم) خاليا من التناقضات •

والواقع ان النظر الى مراحل تطور المجتمع الكردي سيلقي حتما الضوء على هذه المسألة بالذات • فالاكراد يقولون عن انفسهم في تاريخهم الشفاهي «شرفنامه»(٧) : « ئەمە بەرەیەك بووین » ـ بالنص : « نحن كنا اسرة واحدة »(٨) • وهذا يعود الى الزمن

---

(٦) يشير المؤلف بذلك الى أقوال س• أ• يگيزاروف حول « الاغنياء والفقراء » في المجتمع الكردي ـ المترجم •

(٧) التاريخ الشفاهي الكردي « شرفنامة » غير المطبوع ـ المؤلف • يبدو من أقوال المؤلف ان الاثر التاريخي « شرفنامة » كان متداولا بين عامة الناس في كردستان • لكن لم يتطرق الى هذا الموضوع دارسو « شرفنامة » • على اي حال لا يستبعد ان الناس في بعض المناطق كانوا يروون اقساما واحداثا معينة من « شرفنامة » ـ خاصة ما كان يتصل بمآثر الامراء ـ قبل تأليفها من قبل شرفخان البدليسي على شكل أدب شعبي الف معينا مهما لصاحب « شرفنامة »• ان تحديد هذا الموضوع ، وجمع ذلك «التأريخ الشفاهي» ، مع مقارنته بمتن الكتاب يعتبر مهمة علمية جليلة يساعد انجازها على فهم اعمق لجوانب خافية من تاريخ الكرد في العصر الوسيط ـ المترجم •

(٨) « بەرە » تعني جيل ، ابناء واحفاد • يقال « بەرە باب » أي اولاد واحفاد يرجعون الى أب واحد • تطلق « بەرە » في بعض المناطق على وحدات أصغر من القبيل وضمنها • وهي تعني الجبهة كمصطلح سياسي حديث • لكن قصد المؤلف هنا ان الجميع كانوا يؤلفون في تلك الفترة اسرة واحدة تساوي فيها الكل من حيث التملك والحقوق ـ المترجم •

الذي كانوا يزاولون فيه حياة مشاعية ، عندما كانت عشيرة كـاملة تمتلك قطعانها وأرضها المشاعة • وبعد ذلك ، وفي الرواية نفسهـا ورد ما يلي : « لم يتميز أباؤنا واخواننا بعضهم عن الاخر » • وهذا يعني ان الرواية تتحدث عن تلك الفترة من تأريخ الكرد عندمـا لم يكن يوجد لديهم التملك الفردي سواء بالنسبة للقطعان أو بالنسبة للارض • وفي تلك المرحلة من التطور لم يكن (المجتمع الكردي ـ المترجم) منقسما بعد الى طبقات •

وكما كتب انجلس « ان عظمة النظام العشيري ، ومحدوديته في الوقت نفسه ، انما تكمنان في حقيقة عدم وجود مـــكان للتسلط والاستعباد فيه • ففي داخل النظام العشيري لا يوجد بعد أي اختلاف بين الحقوق والواجبات ••• وبالمستوى نفسه فأن احتمال وجـــود مجال لانفصام العشائر والقبائل الى طبقات مختلفة لقليل ، وهـذا ما يسوقنا الى التمعن في القاعدة الاقتصادية للنظام العشيري »(٩) •

ولكن هل بالامكان القول انه لم يوجد لدى الـــكرد قبـــل الثورة(١٠) بل وحتى قبل ٢٠٠ ـ ٣٠٠ سنة مضت التملك الفردي بالنسبة لوسائل الانتاج ؟• بالطبع كلا ! ، فقد شهد المجتمع الـكردي

---

(٩) انجلس ، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولـــة ، باللغة الروسية ، دار الحزب للنشـر ، ١٩٣٢ ، ص ١٥٩ • (يتحدث انجلس في هذا القسم من مؤلفه عـن النظـام العشـيري بين الهنود الحمر الامريكان ، وكيفية انقسامهم الى قبائـل تجمع بينها قرابة الدم ، ويشترك جميع افرادها في الشؤون العامة للقبيلة دون ان يفكر في كون ذلك حقا أو واجبا ـ المترجم) •

(١٠) يقصد ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا ـ المترجم •

في القرنين العاشر والحادي عشر عملية التحول الاقطاعي ، وظهور عدد من الامارات الكردية مع كل ما يتميز به الاقطاع من أشكال التبعية الفلاحية • وقد وصفت (شرفنامه) عددا من الامارات التي كانت لديها قصورها وقلاعها ، وتتحدث عن بعض المراكز التجارية التي ظهرت ، وعن فئة تجارية خاصة • وكما يذكر شرف الدين(١١) فان بعضا من هذه الامارات سكت نقودها وفرضت ضرائب حكومية (رسمية ـ المترجم) وكانت تتمتع بحق تملك الارض(١٢) • وهذا يدحض تماما رأي المؤرخين البورجوازيين

---

(١١) شرفخان البدليسي ـ المترجم •

(١٢) يورد شرفخان البدليسي معلومات مهمة اخرى بهذا الصدد ، ولا سيما ما يتعلق منها بالامراء الذين اولوا الزراعة وجمع الثروة اهتماما خاصا • فالامير محمد بن بدر بيك ، وهو من امراء الجزيرة « كان يعني على عهد والده بتنظيم الاملاك ، وكان حريصا على جمع الاموال وخزن الثروة • وقد روى انه كان من الغنى بحيث يملك اثنى عشر الف نعجة ولود ، يستفيد من محصولها السنوي الشيء الكثير ، كما كان قد أودع لدى أناس مزارعين من الشعب مئة الف سرب من الطيور الدواجن ••• » • ولما قتل هذا الامير « كانت خزينته تحوي زهاء مئتي الف دينار ذهبي » • ويورد المؤلف نفسه معلومات قيمة عن القلاع الاقطاعية في المناطق الكردية • فبالنسبة لمنطقة الجزيرة وحدها يورد أسماء أربع عشرة قلعة فقط « لئلا يسبب الاسهاب ملل أرباب الفضائل واولي الالباب » (« الشرفنامة في تأريخ الدول والامارات الكردية » الفه باللغة الفارسية الامير شرف خان البدليسي • نقله الى اللغة العربية وعلق عليه ملا جميل بندي روژبياني ، بغداد ، ١٩٥٣ ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ، ١٥٧ ـ ١٥٨ وغيرها) ـ المترجم •

الذين يعتقدون ان الاكراد يعيشون في ظروف « مجتمع عشيري بترياركي (أبوي) ديمقراطي خال من الفروق »، هذا الرأي النابع من الفكر البورجوازي الجاهز ٠

في الواقع يوجد داخل المجتمع الكردي العديد من بقايا النظام القبلي ، ولكن يكون من الخطأ الكبير ان يعول على هذا الاساس بالذات لاثبات ان العلاقات القبلية هي السائدة بين الاكراد(١٣) ٠ فلو أخذ هذا الجانب وحده في المجتمع بنظر الاعتبار فاننا نرى في حياة الفلاحين الروس والأرمن وغيرهم قبل ثورة اكتوبر بقايا بترياركية غير قليلة ، ومع ذلك فلا يستطيع أحد التأكيد على وجود علاقات بترياركية ـ قبلية في القرى الروسية قبل ثورة اكتوبر ٠ ومعلوم في الوقت نفسه ان الإقطاع الذي يساعد على انحلال القاعدة الاقتصادية للمجتمع القبلي ، يحافظ من جانب آخر ، والى حد واضح ، على القيم القبلية (العقائد والعادات والافكار وغيرها) مكيفا أياها بصورة تتفق مع مصالحه الطبقية ٠ وهذا بالذات ، اي احتفاظ الاقطاع ببقايا علاقات قبلية وعشيرية قوية وتكريسها لخدمة الاقطاعي ، هو ما نجده عند الكرد ٠ فكما سبق القول تؤلف العشيرة الكردية هيكلا جدا معقدا للمجتمع القبلي القديم بكل مؤسساته الخاصة مع العلاقات الجديدة ٠ وبالامكان كشف هذا الواقع عن طريق تحليل العلاقات الاجتماعية ـ الاقتصادية للقبيلة الكردية

---

(١٣) يقصد العلاقات القبلية المبكرة حيث تتمتع روابط الدم والقرابة والعلاقات الابوية بقوة فائقة داخل العشيرة الواحدة ـ المترجم ٠

والتي نجعل من عشيرة «الحسني»(١٤) القاطنة عند سفوح جبال آرارات في مقاطعة يريڤان سابقا نموذجا لها ٠

ان اول نواة للـ « بەر » عند الكرد يسمى «قبيل» ، وهو يتألف من العائلة التي تربط علاقات الدم بين أفرادها ، ويؤلف عدد من الـ «قبيل» «بەر» ، فعندما يقال : « تو كيژان بەرەيى ؟ » يقصد به « الى أي جهة أو قبيلة تنتمي ؟ » ٠ من هنا يتضح ان الـ « بـەر » هو القبيلة أو العشيرة بعينها ، وفيها يوجد مجلس للشيوخ ينتخب من بين الاغنياء (المتمكنين) ، ويطلق عليه بالكردية « جماعتا روسپیا» أي مجلس الكبار(١٥) ٠ وتتألف مثل هذه القبيلة ، عادة ، من بضع عشرات من قرى المتنقلين أو المشاتي التي يوجد في كل منها مجلس خاص للشيوخ ، كما يمثل كل قرية شخصان او ثلاثة أشخاص في مجلس القبيلة ٠ ويوجد في كل قرية «كيخدا» يرأس مجلس الشيوخ فيها ، وكان ينتخب في البداية ، وأصبح فيما بعد

---

(١٤) سميت عشائر كردية عديدة باسم رئيس بارز من رؤسائها مثل حسني ، حسنانلي ، عمرانلي ، حيدرانلى وغيرها ٠ توجد عشيرة باسم الـ « حسينية » تسكن شمالي جزيرة ابن عمر ، وتوجد اخرى بنفس الاسم في غربي زاخو ٠ كما توجد عشيرة بأسم « حسنانلي » تسكن حاليا مناطق خنس وملازكرد وما والاهما ٠ كانت « حسنانلي » في السابق عشيرة متنقلة كبيرة ، اسكنت في عهد السلطان سليم الاول (١٥١٢-١٥٢٠) في منطقة الحدود العثمانية المجاورة لروسيا وايران لحمايتها ٠ لذا لا يستبعد ان تكون عشيرة الـ « حسني » فرعا منها بقيت هناك ـ المترجم ٠

(١٥) الكبار عمرا ـ المترجم ٠

يعين من قبل رئيس القبيلة • وبالتدريج أصبح ينتخب من بين أعضاء مجلس الشيوخ المنتخب من جانب جميع «قبيل» القرية كيخدا لها • ومصطلح «كيخدا» مقتبس من فعل «كهتن» (في السورانية : «كهوتن» ــ المترجم) أي (السقوط) و «خدا» أي (الاله) فيعني بذلك (الاله النازل) • وربما «كهت» مقتبسة من «كند» التي تعني القرية بالتركية ، واذا صح ذلك فسيكون معنى المصطلح ــ الـه القرية (٦) •

يوجد على رأس كل قبيلة رئيس هو الـ «آغا» ، الذي كان يأتي في البداية عن طريق الانتخاب ، بينما غدا المنصب فيما بعد وراثيا ، اذ تنتقل الرئاسة من بعد وفاته الى ابنه أو شقيقه أو أحد اقربائه المقربين • وتؤلف الثروة أهم أساس يجب توفره لدى من ينتخب لاشغال منصب الـ «آغا» ، أي يجب ان يملك المنتخب قطعانا كبيرة من الغنم والبقر •

يكون عدد من الـ « بـ[illegible] » العشيرة التي تعرف ايضا بال «عيل» ويوجد على رأس كل عشيرة (بيك) أو (أمير) • وغالبا ما يحدث

---

(١٦) «كيخدا» تعود في الاصل الى كلمة «كدخدا» ، وهي تعني كبير القرية أو المحلة أو صاحب القرية أو صاحب الدار وكبيرها • تستعمل ايضا بمعنى الزوج والرجل المتزوج ، وهي ترد احيانا بصيغة «كتخدا» • يستبعد احتمال اقتباس كلمة «كهتن ــ كهوتن» الكردية الاصل والجذر ، والشائعة في كل لهجاتها من التركية ، خاصة وان ظهور مثل هذه الكلمات الشائعة يرتبط في جميع اللغات تقريبا ببدايات تكونها ــ المترجم •

ان يكون على رأس العشيرة وجه ديني كبير يجمع في يديه السلطتين الدينية والدنيوية • وبسبب الظروف الخاصة للمناطق الجبلية كان يوجد لدى كل من الـ «قبيل» والـ «بەر» والـ «عيل» وجيـه يقوم بحمايته ، ويطلق عليه اسم الـ «ميرخاس» • وفي العادة كـان الـ «ميرخاس» شخصا قويا من الناحية الاقتصادية ، لـه علاقات قرابة واسعة • وكان الـ «ميرخاس» ، أو البطل كما يسميه الـكرد ، يؤلف القوة الرئيسة لدى ال « قبيل » أو ال « بەر » أو العشيرة ، يحافظ على قطعانها ومراعيها من تطاول القبائل والعشائر الاخـرى ، وقد توسعت سلطاته في ظروف التنقل وتربية الحيوانات •

تؤلف مسألة الماء في ظروف التنقل واحدة من أهم المشاكل ، اذ تعتمد عليه حياة الراعي وقطيعه ، بل وجود العشيرة بأسرهـا • وقد عبرت عن ذلك بوضوح احدى الاغنيات الشعبية المعروفة بأسم «هوزان» • كانت أرض الرعي (حيث تدور كلمات الاغنية حولها ـ المترجم) تتبع لعشيرة ملي(١٧) ، وقد حدث بسببها نزاع كبير بين عدد من القبائل ، فقد كان الماء متوفرا في منطقة واحدة منها فقط :

« أيتها الارض (١٨) كم انت طيبة •• طيبة ،
لكن ليخربك الاله ، أيتها الارض
أمعن النظر في فصائل الفرسان
فلا اجد بينهم الوسيم فقي علي(١٩)

---

(١٧) من اكبر العشائر الكردية المعروفة ذات التاريخ الحافل فـي العهد العثماني • تقطن الولايات الشرقية من تركيا ، ولاسيما في منطقة سيفرك • كانت تخضع لرئيس هـذه العشيرة في القرن الماضي حوالي اربعين الف اسرة كردية ـ المترجم •

(١٨) المقصود أرض أو منطقة الرعي ـ المترجم •

والارض تمتد في منعطف الجبل
وفصائل الاعداء تندفق لتطغي على فصائل الفرسان
ولا يوجد في تلك الارض ذلكم الماء الرقراق
فقد أصيب المقهورون في قلوبهم »

هكذا كان يجري نزاع مستديم بين القبائل من اجل السيطرة على احسن الاراضي ومصادر المياه • وقد برز في خضم ذلك المتمكنون الذين كانت بحوزتهم قطعان كبيرة ، فكان بمستطاعهم الاحتفاظ على حسابهم بعدد معين من «السيار » ، اي الفرسان المحاربين • وكان يشترك في الحروب الى جانب هؤلاء كذلك افراد العشيرة الذين كانوا يعملون في الانتاج • ومن الجدير بالذكر انه لم تقتصر مهمة هؤلاء «السيارين» على محافظة العشيرة من الهجمات المتوقعة ، بل كانوا يغيرون بدورهم على العشائر المجاورة •

وفي تلك الفترة كانت توجد في المشاعية الكردية مراع واسعة كانت ملكيتها عامة ايضا • وكانت اراضي الـ «گوند» في القرى تدخل لوحدها ضمن الممتلكات الفردية (٢٠) • اما الحيوانات فكانت تعتبر من الملكية الخاصة للافراد ، بينما كانت مصادر الماء والمراعي والمروج مشاعة بين الجميع • لكن رئيس العشيرة بدأ بصورة تدريجية ، وعن طريق السيطرة الاقتصادية على المشاعية ، يجمع كل شيء بين يديه ، وذلك بعد ان اصبح يأخذ الحصة الاكبر من غنائم

---

(١٩) فقي علي هو اسم رئيس العشيرة الذي قتل اثناء المعركة ، وتيمنا بذكرى المعركة وضعت هذه الاغنية الشعبية ـ المؤلف •
(٢٠) وهذا يعني ان جميع انواع الارض الاخرى كانت مشاعية ـ المترجم •

المراعي والحيوانات التي كانوا يستولون عليها من العشائر الاخرى ، بينما كان يعطي لـ «السيارين» حصة اقل • وفيما بعد بدأ بارسال «السيارين» للاستيلاء على المراعي واخضاع القبائل والعشائر الضعيفة والاستحواذ على ممتلكاتهم •

قيم ف•انجلس عملية تكون السلطة هذه ، عملية تحول النظام العشيري الى نقيضه بالشكل التالي :

« تـؤدي حرب الاغتصـاب (النهب ـ المترجم) الى تعزيـز سلطة القائد الحربي الاعلى ، وكذلك سلطة القادة الذين يأتون في المرتبة الثانية • وان الانتخاب الاعتيادي لخلفائه (خلفاء القائد او الرئيس ـ المترجم) من العائلة نفسها يغدو بالتدريج ، وعلى الاخص بعد تثبيت الحق الابوي ، سلطة وراثية كـانت في البداية عبئا ثم اصبحت مطلبا واخيرا غصبا(٢١) ، ومن هنـا تظهر اسس الملكية الوراثية والاشراف الوراثي • وهكذا بالتدريج تنفصم اسس(٢٢) النظام العشيري من جذورها بين الشعب والقبيلة والجماعة والعشيرة

(٢١) يقصد انجلس ان الرئاسة كأي ظاهرة اجتماعية قـد مرت بمراحل ، فعند أول ظهورها مع انحلال المشاعية كانت بمثابة عبء على الشخص الذي يعين رئيسا لما كان يفرض عليـه من التزامات أمام افراد عشيرته ، ولـكن مـع ازدياد الفوارق ، وتثبيت جذور التملك الفردي ودور السلطة الكبير وامكانات تسخيرها لتوسيع الملكية الفردية ، اصبحت الرئاسة مطلبا يهتم بها المعنيون ، ثم اصبحت مصـدر نزاع وخـلاف واغتصاب ـ المترجم •

(٢٢) في النص : اعضاء او مؤسسات ـ المترجم •

ويتحول كل الكيان الاجتماعي العشيري الى نقيضه : يتحول من تنظيم عشيري للاشراف على الشؤون الخاصة الى مؤسسة لنهب الجيران واضطهادهم ، ووفقا لذلك تتحول تنظيماته من أدوات للتعبير الشعبي الى تنظيمات حكومية وارهابية مستقلة مناهضة للشعب »(٢٣) .

ان كلمات انجلس هذه تحتفظ بكامل قوتها بالنسبة للكرد ايضا . ففي المجتمع الكردي كانت توجد اشكال تقليدية لمعونة اعضاء المشاعية ، وهي تعرف في الكردية بـ « رزو » و « بار ـ به »(٢٤). ففي حالة موت حيوانات عضو المشاعية ، او في حالة استيلاء العشائر الاخرى على حيواناته ، او في حالة اصابته باي كارثة طبيعية حينذاك كانت المشاعية تقوم بالـ «رزو» ، اي انها كانت تجمع من جميع اعضائها الحيوانات والحبوب وغيرها لتقدمها للشخص المتضرر . ويسمى النوع الاخر من المعونة بـ «بار ـ بهر» ، و «بار» يعني (الحمل) و «بهر» يعني (اخذ ، حمل)(٢٥) اي اخذ (نقل) الحمل. وكانت المشاعية تمنح مثل هذه المعونة لاعضائها الذين كانوا لا يمتلكون حيوانات النقل الضرورية لظروف التنقل (خاصة اذا كانت

(٢٣) ف. انجلس ، اصل العائلة ... ، ص ١٦٥ . (يتحدث انجلس في هذا القسم من كتابه عن الظروف الموضوعية التي تؤدي الى الجمع بين عدد من القبائل ، ومن ثم ظهور السلطة داخلها كضرورة اجتماعية حتمية ، ولاسيما بعد ظهور حروب النهب التي تغدو بالتدريج حرفة دائمية تؤلف مصدرا اقتصاديا ، واساسا لتعزيز سلطة الرئيس الاعلى ـ المترجم).

(٢٤) في بعض المناطق : باربو ـ المترجم .

(٢٥) «بهر» تعني حرفيا الاخذ ـ المترجم .

الرحلة تمتد لمسافة مئات الكيلومترات) حتى تقوم بنقل ممتلكاتهم واطفالهم أثناء التنقل • فقد كانت المشاعية في مثل هذه الحالة تقدم لاعضائها المعدمين اثناء الترحال من منطقة الى اخرى ثورا او حمارا او جملا • وبهذا الشكل كان اعضاء المشاعية المعدمين يقومون بنقل حوائجهم اثناء رحلة الصيف والشتاء مع الاخرين • وفي حالة حاجة شخص ما (في المشاعية ـ المترجم) الى المواد الغذائية كانت المشاعية تقوم ايضا بابداء المساعدات اللازمة له(٢٦) • ولكن هذا الشكل من المعونة انتقل بالتدريج الى المتمكنين (من اعضاء المشاعية ـ المترجم) الذين بدأوا بتقديم المساعدات للفقراء بغرض اخضاعهم •

وكان يوجد نوع اخر من المعونة في المشاعية كانت تمنح للاقرباء فقط • فقد كان المتمكنون يعطون لاقربائهم «كاور» اي الخروف العقيم • وكان في العادة يقدم هذا الخروف البالغ من العمر عاما واحدا في الخريف عندما كان يظهر ان احتياطي القريب من الغذاء لا يكفيه حتى حلول الربيع ، حينذاك كان يقوم اقرب اقربائه بتقديم خروف او خروفين اليه • لكن هذا النوع من المعونة ايضا انتقل تدريجيا الى ايدي الاقرباء الاكثر ثروة ، او الى رئيس العشيرة ،

(٢٦) توجد حتى الان في العديد من المناطق الريفية الكردية انواع من المعونة التي تعود الى عهود سحيقة في القدم ، منها الحرث والحصاد والدوس الجماعي ونقل الحطب المشترك الى دور الفلاحين واعداد البرغل والشلغم والخبز في البيوت ، وكذلك جعل المرجل الذي يغلي فيه البرغل ، او الكوز الكبير الذي يعد فيه الشلغم ، او الهاون والمجرشة وغيرها مشتركا ـ المترجم

وتحول الـ «كاور» الى «كاورى نەمرى» ، اي الخروف الحي • وهذا يعني ان القريب اصبح ملزما بان يعيد الخروف الى رئيس العشيرة بعد سنة ونيف وخلال الربيع ، اي في فصل توفر الاعشاب لتربيته • وهكذا كان الرئيس المتمكن يعطي الخروف البالغ من العمر عاما ، او بالاحرى ٦ـ٨ اشهر ، وكان يسترجع فيما بعد ضأنا يبلغ العامين • ان هذا الشكل من «المعونة» (٢٧) قد ارهق ايضا ، وبما فيه الكفاية ، كاهل اكثرية الجماهير الفلاحية الكردية • فقد كان الرئيس يحفظ بواسطته خرفانه من الكوارث ، ويستلم فيما بعد اغناما مكانها • اما «بار ـ بەر» الذي تطرقنا اليه سابقا فبالرغم من انه لم يكن يؤلف عبئا ثقيلا الى حد كبير ، الا انه قد تحول الى وسيلة ارهاق مستمر بالنسبة للمعدمين • فالشخص الذي كان يحتاج الى المساعدة لنقل عائلته اثناء الترحال كان يصبح ملزما بان يعمل لعدة اشهر لدى المتمكن •

اخيرا كان يوجد في المجتمع (الكردي ـ المترجم) نوع اخر من المعونة يسمى بالـ «زباله»(٢٨) التي هي عبارة عن معونة تقدمها النساء بعضهن لبعض خلال العمل • فقد كان كل نسوة المشاعية تقريبا يجتمعن معا ويساعد بعضهن البعض في غسل الصوف وندفه • فكن يجتمعن عند واحدة منهن ، ويغسلن الصوف خلال يومين او

---

(٢٧) وضع القوسان من قبلنا ـ المترجم •

(٢٨) والصحيح «زبارة» وقد وردت هكذا ايضا في القاموس الكردي ـ الروسي للدكتور ك• كوردوييف (ص ٨١٠) • والمؤلف نفسه ذكرها بشكل صحيح (أي زبارة) في مؤلفه المعروف «دمدم» ـ المترجم •

ثلاثة ، وبعد مرور بعض الوقت على تجفيفه كن ـاي بجهد الجميع ـ يقمن حسب تقاليد «زباله» (زباره ـ المترجم) بندفه ، وما كـان على صاحبة البيت لقاء ذلك سوى اطعامهن • وكان هذا ايضا فـي صالح المتمكنين (في المشاعية ـ المترجم) لانهم بعكس ذلك كانـوا يضطرون الى تشغيل النساء لقاء اجر معين بحكم امتلاكهم لعدد كبير من الحيوانات • هكذا استطاع الرئيس استغلال هذا النوع مـن التعاون المتبادل لصالحه ، فقد اصبحت المرأة ملزمة بالعمـل لديه دون مقـابل •

وانتقلت السلطة في المجتمع الكردي بالتدريج الى الرؤسـاء الاعلين في العشائر «الذين كانوا بمثابة امراء اصليين»(٢٩) • وقد تكونت هذه السلطة عبر قرون ومن عناصر المجتمع الكردي المتنقل• يحتاج توضيح هذه المسألة الى النظر الى طبيعـة التنقل ، وبصورة خاصة لدى الكرد انفسهم •

(٢٩) ف• تاردوف ، الخصائص الرئيسة لعلاقـات الانتـاج بين عشائر ايران ، ـ «مواد عن المشاكل القومية ـ الكولونيالية»، موسكو ، العدد ٣ـ٩ ، ١٩٣٣ ، ص١٣٩ •

تبلور الاستقطاب والالتزامات الاقطاعية

يتصور العديد من المؤرخين الذين كتبوا عن نمط حياة التنقل ان الرحـل لا يملكون مناطق سكنى دائميـة ، وان اقتصادهم كله يعتمد على تربية الحيوانات ، بينما اساس الاقطاع هو مقدار ما لدى مربي المواشي من الحيوانات • الا ان هذا امر غير صحيح • وفـي الامكان دحض الرأي الخاطيء حول ما يسمى بالاساس الرعـوي الخاص للاقطاع الكردي ولو عن طريق تحليل المعلومات المتوفرة عن عشيرة ديخلر(١) القاطنة عند اقدام جبل ارارات • فلدى هـذه العشيرة توجد اربعة انواع مختلفة من الاراضي تقع في اربع مناطق متباينة الارتفاع :

١ ـ «گوند» ـ وهي ارض القرية مع ما يحيط بها مـن حقول ومروج صغيرة •

٢ ـ «زوزان» او «يايلاق»(٢) ـ وهي المراعي الصيفية في منحدرات الجبال العالية •

---

(١) ربما داغلر ـ المترجم •

(٢) «زوزان» بالكرمانجية و «كويستان» بالسورانية • «يايلاق» أو «يايلق ، يايلغ» كلمة تركية مركبة تعني مكان الاصطياف (ياي = الصيف ولاق ، لق ، لغ = مكان) ـ المترجم •

٣ ـ «قشلة» او «قشلاقي»(٣) ـ وهي مراع تقع في وادي ارارات ، دافئة جدا ، الا انها عديمة الماء ، او ما يسمى بـ «قرِي» •

٤ ـ «دۆلگه»(٤) ـ وهي المراعي التي تقع في اعمـــاق الوديان وتستخدم بشكل خاص في اوائل الربيع أثناء تناسل الاغنام •

كان المتنقل الكردي يمتلك ارض الـ «گوند» او القرية مـع مساحات زراعية صغيرة ، اما بقية الاراضي مع مصادر المياه فيها فقد انتقلت الى ايدي البكوات والاغوات الذين كانوا في الواقع يحافظون عليها من المغيرين • ان هذا الواقع للمجتمع المتنقل والذي تتجمع في اساسه ، سواء بالنسبة للمجتمع الكردي او اى اقتصاد متنقل اخر ، اراضي الرعي ومصادر الماء والمواشي هو مفتاح فهم المجتمع المتنقـل الاقطاعي وتطوره التاريخي • وقد اصاب ف• تاردوف ، وهو يتطرق، من خلال تقييمه لاهم خصائص علاقات الانتاج لدى عشائر ايران ، الى حراس البيك حين قال عنهم :

« في چاگاخور (؟) (٥) حيث يتجمع البختياريون قبل الانتقال الى گەرمەسير(٦) ، تتبع في خيم الحراس القريبين من الايلخاني(٧)

---

(٣) «قشلاق» أو « قشلق ، قشلغ » كلمة تركية مركبـــة تعني المشتى ـ المترجم •

(٤) «دۆلگه» كلمة كردية تعني المرتـع او المراتـــع المتـــدة ، ويستخدمها الاتراك لنفس المعنى ـ المترجم •

(٥) علامة الاستفهام موضوعة من قبلنا ـ المترجم •

(٦) كلمة كردية مركبة تعني المشتى ـ المترجم •

(٧) كلمـــة مركبـــة من (أيل) وتعني العشيرة و (خان) وتعني الرئيس ، اي رئيس العشيرة ـ المترجم •

حياة تشبه المشاعيـة القبلية ـ العسكرية حيث المطبخ والمأكـل العموميان ، اما الاسلحة والذخيرة فانهـا تحفظ في خيم رؤسـاء العشائر وفي دار الايلخاني ••• وتلاحظ تقريبـا الظاهرة نفسها وحتى الفترة الاخيرة في كردستان»(٨) •

وبالفعل يوجد تعبير واضح للانفصام (الانقسام) الطبقي بين الحراس ، اذ ان العديد منهم يخدمون في صفوف الحرس وهم لا يمتلكون شيئا • فالخيل الذي يستخدمونه للتنقل ، وكذلك البندقية تقدم لهم من قبل رئيس الحراس او الاقطاعي ، ويأكلون على حساب الاخير ، اما زوجاتهم فانهن يعملن في (بيت ـ المترجم) الاقطـاعي ويقمن بانجاز اعمال مختلفة في خدمة حيواناته • واكثر مـن ذلك فانهم (اي الحراس ـ المترجم) يكونون دائما رهن اشارة الاقطاعي للاغارة على العشائر المجاورة بقصد سلب مواشيها واغنامها • وكثير من هؤلاء يفقدون رؤوسهم في خضم هذه الهجمات والمعارك • وفي مثل هذه الحالة تستمر عوائلهم في خدمة رئيس العشيرة • والى جانب كل ذلك يقوم الحراس بجمع الضرائب للبيك في المنـاطق البعيدة من ممتلكات الاقطاعي ، يرافقهم في ذلك وكيل البيك • وفي الوقت نفسه فانهم لا يملكون حتى حق الجلوس في حضور البيك او الاغا ، بل انهم لا يحق لهم الاكـل في مجلس البيك ، والشيء الوحيد الذي يسمح لهم به في مجلسه (وذلك في حالات محدودة) هو التدخين • من هنا لا يصح ، اذن ، الكلام باي حـال مـن

---

(٨) ف• تاردوف ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ •

الاحوال عن المشاعية العشيرية • صحيح انه قد يحدث ان يوجد بين الحراس بعض اقرباء البيك الذين كانوا يقفون ، بحكم ذلك ، على رأس جماعات مختلفة وكان هؤلاء يحضرون احيانا لتناول الطعام مع البيك ، الا ان ذلك لا يدل على اي نوع من مظاهر المشاعية •

هكذا فان الواقع الطبقي بين الحراس أمر واضح • صحيح ان جميع الاسلحة تودع في بعض الاحيان عند الخان أو البيك أو الآغا • لكن هذا لا يتعدى كونه تعبيرا عن الطاعة والاخلاص في خدمة رئيس العشيرة • ويقوم الحراس مرتين في السنة - في الربيع وفي الخريف - بوضع اسلحتهم لمدة يومين أو ثلاثة أيام في الـ « كيلەره » التابعة للرئيس (وهي خيمة خاصة لحفظ الاشياء) ، ويقوم الحراس باستعادة اسلحتهم بعد وليمة تقام لهم • ولكن يحدث ان لا يعاد قسم من الاسلحة (الى حامليها - المترجم) الذين يعهد اليهم ، في مثل هذه الحالة ، بمهمة تربية المواشي ، أو أي عمل آخر • وهذا ما يحدث عادة بالنسبة لأناس لم يبرروا ثقة الرئيس بهم • ومن الجدير بالذكر ان التقسيم الطبقي يلاحظ في الوليمة المقامة بشكل دقيق ، حيث يأكل الأمير(٩) بصورة منفصلة ويأكل الذين ينتمون بصلة القربى الى عائلة الرئيس بصورة منفصلة أيضا ، وبمعزل عنهم يأكل الحراس الاعتياديون •

كان عدد حراس كل رئيس عشيرة يتراوح بين ١٠٠ الى

(٩) يقصد الرئيس ، الاغا أو البيك - المترجم •

٥٠٠ شخص كانوا يتجولون في جميع المناطق الخاضعة (للرئيس ـ المترجم) داخل القبيلة أو العشيرة أو الـ «اوبه»(١٠) لجمع ضرائب البيك • وكان هؤلاء يؤلفون ، في الوقت نفسه ، قوة خاصة للاقطاعي يستخدمها لاخضاع القبائل والعشائر الاخرى ، وكان يطلق عليها أسم « عهمهله ـ عمله »(١١) • وكان بعض الاقطاعيين يقدمون قوات «عمله» خاصة لاداء الخدمة عند الشاه الايراني أو السلطان التركي• ولكلمة «عمله» نفسها معنى طريف للغاية يكشف عن المضمون الاجتماعي لهذا التنظيم •

تعني كلمة «بێ عهمهله» بدون عمل ، أو من لا يملك شيئا ، أما كلمة « عهمهله » فانها تعني الضروري والمهم واللازم(١٢) •

---

(١٠) «اوبه» عبارة عن تجمع عدد من العوائل الفلاحية التي كانت تستلم الارض من الاقطاعي الكردي لفصل الصيف ـ المؤلف• ان الذين يكونون الـ «اوبه» أو الـ «هوبه» هم في العادة اناس من ذوي الامكانات المحدودة الذين يجتمعون حول شخص اكثر امكانية لغرض استئجار المرعى وتنظيم شؤون الرعي معا • ومع ظهور بوادر العلاقات الجديدة ، والاسلوب الجديد في التعامل ، ومع ازدياد ارتباط الفلاح بالارض ، وتحول الزراعة الى مهنته الرئيسة ، تغير هيكل الـ «اوبا» بدوره • ففي السابق كان اصحاب الحيوانات يجتمعون بأنفسهم ويؤلفون الـ «اوبا» ، وينظمون جميع اعمالها • بينما غدا ذلك متعذرا منذ زمن ليس بقصير ، فغالبا ما يلتجيء أصحاب الحيوانات الى تأجير الرعاة بشكل جماعي ، اذ يبعثون معهم بحيواناتهم الى المراعي الصيفية التي يؤجرونها ـ المترجم •

(١١) في مناطق سوران «تفهنگچي» اى حامل البندقية ـ المترجم •

(١٢) «عهمهل» أو «عهمهله» مقتبسة من (العمل) و (العامل) ، الا انها تستخدم بين اكراد الاتحاد السوفيتي لمعاني أوسع واكثر

وبالفعـل كان ال « عهمهله » ضروريين للاقطـاعي حتى يتمـكن بواسطتهم ، وفي أي لحظة كان ، من دحر أي هجوم تقوم به العشائر المتنقلة الاخرى ، أو ليقوموا هم بالاغارة على العشائر المجـاورة • وبعض هؤلاء ال « عهلهمه » كان عددهم كبيرا • فمثلا « كان أمير (اقطاعي) عشيرة الجاف يقدم للباب العالي قوة احتياط « عهمهله » مؤلفة من الفي خيال وأربعة الاف من المشاة(١٣) • أما امير عشيرة بادينان في الجزيرة(١٤) فقد كان لديه سبعة الاف خيال مـع اثني عشر ألفا من المشاة • وقد حاول بعض المؤلفين تصوير الـ «عهمهله» وكأنهم يختلفون عن الحراس • لكن هذا غير صحيح لأن الحراس هم الـ «عهمهله» بعينهم • فقبل كل شيء ان الاعضاء الاعتياديين ، كما سبق الذكر ، هم من المعوزين الذين لا يملكون اقتصادا خاصا بهم يستطيعون استغلال قوة عملهم في مجاله • الى جانب ذلك يدخل في ضمن الـ «عهمهله» أقرباء الاقطاعي نفسه ، والـذين يشغلون بينهم (أي بين الـ «عهمهله») الوظائف القيادية ، فينضم اليهم أبنـاء رئيس القبيلة ، وأبناء اشقائه وشقيقاته ، وعلى العموم أقرباؤه ، وال «بهر» والـ «عيل» والعشيرة • ويكون مثل هذه الوجوه التي تحيط

= (راجع « القاموس الكردي ـ الروسي» للدكتور كوردوييف ، ص ٢٤٨) ـ المترجم •

(١٣) پ•أ• ستيبـانوف ، الشـرق ، بطرسبورغ ، ١٨٩٢ ، ص ٢٨٣ •

(١٤) يصح الكلام عن عشائر بادينان لا «عشيرة بادينان» ، فـان بادينان (بهدينان) تؤلف منطقة جغرافيـة واسعة تسكنها عشائر عديدة ـ المترجم •

بالاقطاعي في وضع مميز خاص • فهم يكونون القوة الرئيسة له ، يلبسون ملابس جيدة ، وكلهم يحملون السلاح • وهم في الغالب يغيرون على العشائر الاضعف بقصد نهبها أو اخضاعها لرئيسهم الاقطاعي • وكانت هذه المنظمة (اي عهمهله ــ المترجم) لدى عشيرة كهشكى في سليمان «؟»(١٥) تؤلف تشكيلة لصوصية صرفة • وفي بداية القرن التاسع عشر كونت العشائر التي كانت تقطن سفوح جبال ارارات تشكيلة « عهمهله » قوية بقيادة قلي جعفر آغا الكبير أغارت مرات عديدة على مناطق وادي يريڤان • وكانت تحتل سردار آباد(١٦) ، وتهدد خانية(١٧) يريڤان • وكان المهاجمون يقطعون الطرق التجارية لسردار آباد مع ايران وتركيا (بايزيد) •

ان هذا التنظيم الخاص للمسلحين ، مع تقسيماتهم القبلية والعشيرية المتحكمة في المناطق الجبلية الحصينة اعطتهم (اي الرؤساء الاقطاعيين ــ المترجم) امكانات كبيرة للسيطرة على الناس • فكانوا يفرضون عليهم ، مستغلين ذلك ، واجبات مختلفة عن طريق الضغط الاقتصادي • وفي الواقع كان الاقطاعيون مع حراسهم يكونون دويلات صغيرة مستقلة •

وقد تطرق ف•انجلس الى مثل هؤلاء الحراس الذين يحيطون

---

(١٥) علامة الاستفهام موضوعة من قبلنا ــ المترجم •
(١٦) تقع بالقرب من مدينة يريڤان ــ المترجم •
(١٧) «خانية» او «خانوية» ــ نسبة الى «خان» ، وهي شائعة الاستخدام بمثابة (امارة) في الاستشراق السوفيتي ، ولاسيما في البحوث المتعلقة بمناطق اسيا الوسطى في عهد ما قبل ثورة اكتوبر ــ المترجم •

بالاقطاعي ، فكتب عنهم يقول : « كان الزعيم العسكري الذي يحرز شهرة يجمع حوله مجموعة من الشبان التواقين الى الغنائم ، وكان هؤلاء يلتزمون تجاهه بالوفاء الشخصي »(١٨) •

هكذا كان لدى الاقطاعيين الاكراد قواتهم الخاصة التي كانت تخدمهم ، وكان العديد من محاربي هـذه القوات معفويين عن اداء اي نوع من الضرائب او الخدمات • وبحـكم الموقـع الجغرافي والظروف الطبيعية تكونت في كردستان عدة دويلات اقطاعية مستقلة كانت لها مساحات واسعة نسبيا •

كان الاقطاعيون الكبار يقومون بأخضاع الاقطاعيين الصغار • لكن هذا كان نادر الحدوث • وان مثل هذا التوحيد كـان يجري عادة عن طريق القوة ، أي بواسطة الحروب• ففي قوان قره الواقعة بين ديار بكر وبدليس نجد وحدة اختيارية بين الاقطاعيين الصغار وتنظيما كان يجمع بين جميع الحراس المسلحين ضـد الاقطـاعي الكبير في بدليس ، والذي كان مثل هذا التوحيد ضروريا ضـده لأنه قام باخضاع العشائر الصغيرة المجاورة لنفسه ، وبدأ بجمع مـا عليها من ضرائب لصالحه • ومن جهة اخرى فأن مثـل هـذه الاتحادات كانت ضرورية أيضا من أجـل تنظيم الادارة الداخلية

---

(١٨) ف٠انجلس ، أصـل العائلة ٠٠٠ ، ص ١١٥ ٠ (يبحث انجلس في هذا القسم من كتـابه عن ظهور المتطوعين الاوائل الذين يجتمعون حول زعيم العشيرة او قائدهـا ، الامر الذي يؤلف ، حسبما يؤكد ، البذرة الاولى للقضاء على « الحريـة الشعبية القديمة » التي تميزت بها حيـاة العشائر قبـل انفصامها الداخلي ــ المترجم) ٠

بالنسبة للعشائر والفخوذ التي كانت ترفض أحيانا دفع ضريبة أو اخرى • لكن ، على أي حال ، فأن شكل الاتحاد الاختياري كان يتحول أحيانا الى شكل قسري • واننا نجد مثل هذه الظاهرة لدى عشيرة الحسني التي سبق التطرق اليها • فقد اتحدت هذه العشيرة مع عشيرة أورتلي في سبيل النضال ضد عشيرة محاربة اخرى أقوى هي الي(١٩) • لكن الاتحاد الاختياري هذا قد تحول في نهاية المطاف الى شكل الاخضاع الكلي لعشيرة اورتلي ، خاصة لان جميع القوات المسلحة كانت تحت سيطرة عشيرة الحسني ، وبسبب من ذلك انتقلت بعض المهمات الادارية داخل عشيرة اورتلي الى رئيس عشيرة الحسني قلندر آغا • وبالاضافة الى ذلك عهد اليه مهمة الحفاظ على المواشي والمراعي ومصادر المياه وما شابه • وبهذا فقد زعيم عشيرة اورتلي علي آغا استقلاله الاقتصادي ، وأصبح بمثابة موظف لدى الاقطاعي قلندر آغا له مهمته جمع الضرائب له •

في بعض الاحيان كان الاقطاعي الصغير يذهب بنفسه الى أقطاعي اكبر يطلب منه حمايته • وهذا ما يسمى بـ «دەستدا» أي « مد اليد او الخضوع » • وفي مثل هذه الحالات كان البيك أو الأمير أو الآغا يذهب ومعه حراسه المسلحون الى الاقطاعي الكبير الذي كان يقبله • وكان على الاقطاعي الجديد الذي يعرض خضوعه اختيارا تقديم ضريبة سنوية • واكثر من ذلك يصبح لزاما عليه ان يستعد عند الحاجة مع حراسه للاشتراك في الحملات الحربية •

---

(١٩) ربما محرفة من (عني) أو (عالي) ـ المترجم •

من خصائص
الاقطاع الكردي وبدايات الانفجار

كما يبدو من وصف المؤرخ الكردي شرف الدين (شرفخان البدليسي ـ المترجم) انقسم المجتمع الكردي قبل القرن الرابع عشر الى طبقتين ـ «السود» و «البيض» ، وان الاقطاعيين أنفسهم عندما يتوجهون الى الكردي يقولون «أز ماقولم»(١) «ئەتو كرمانجي رەشي» (انا السيد ، أما أنت فمن سواد الكرد) . وقد تطرقنا سابقا بصورة عامة الى الانواع المتباينة من الاقطاعيين الكرد ، الا ان ذلك التقييم الشامل بحاجة الى التعمق والتحديد .

توجد في المجتمع الكردي ثلاثة أنواع من الاقطاعيين :

١ـ الاقطاعيون الامراء (مير) . و (مير) كلمة فارسية(٢) تعني (الرأس أو الرئيس) . وهؤلاء الذين كانوا يعتبرون انفسهم قياصرة صغارا ، كانوا يحتفظون بقوات مسلحة كبيرة ، وبعدد من العشائر الخاضعة لهم مع رؤسائها . وعادة يعتبر هؤلاء الامراء انفسهم من سلالة الخلفاء المسلمين(٣) . من هنا فقد تركزت في أيديهم ،

(١) «ماقول» من (المعقول) ـ المترجم .

(٢) «مير» كلمة عربية وهي مخففة الامير . يستخدم الكرد ايضا « پس مير » بمعنى (الامير الصغير او مساعد الامير او شبيهه) ـ المترجم .

(٣) في الغالب كان أمثال هؤلاء من الكرد ، وغير الكرد ، يدعون

بالاضافة الى السلطة الاقطاعية ، السلطة الدينية كذلك ، أي انهم كانوا يمثلون السلطتين الدينية والدنيوية • وكان هؤلاء يأخذون ، الى جانب الضرائب الاقطاعية الاعتيادية ، انواعا مختلفة من الهدايا(٤) ، مما كان يزيد من دخلهم •

٢ ـ البيگوات ـ يرأسون عشيرة كاملة يدخل ضمنها عدد من الفخوذ ، ولم يكن لديهم مركز ديني ، بل كانوا ينتمون فقط الى الفخوذ المعروفة، وكان البيك يأخذ فقط الضرائب الاقطاعية مستغلا في ذلك الفلاحين الكادحين بكل السبل الممكنة •

٣ ـ الآغا وكان رئيسا للفخذ •

في عشيرة الحسني التي رأسها تامر (تەمەر ـ المترجم) آغا (يعيش احفاده الآن في جبال الهگەز) كان يوجد لدى رئيس العشيرة اقطاعيون غير مستقلين • فمثلا ان سليمان آغا من قرية زوره كان هو وعشيرته تابعين اقطاعيين لتامر (تەمەر ـ المترجم) آغا • ومن الجدير بالذكر ان العلاقات الاقطاعية موجودة بين عشيرة الحسني منذ أكثر من ثلاثمائة عام مضت • وقد كتب س•أ•يگيزاروف عنها ما يلي :

« حسب اقوال حسن آغا فان اجداده كانوا رؤساء عشيرته في ميسوپوتاميا عندما كانت لا تزال تقطن هناك ، وانه لا يتذكر أسماء

= الانتماء الى السلالة النبوية او الى الخلفاء والصحابة لان ذلك كان يمنحهم الاعتبار والمنزلة الرفيعة في نظر الاخرين ، ولاسيما اتباعهم ـ المترجم •

(٤) في النص «ذبيحة» أو «ذبائح» ، ويقصد بها ما يقدم من الهدايا والنحائر بمناسبة الطقوس الدينية ـ المترجم •

مؤسسي اسرته ، ويعرف فقط سبعة أجيال متصاعدة من اسماء رؤساء العشائر ، فتكون سلسلة نسب حسن آغا بشكل عمودي كما يلي : ١ ـ محمد آغا ، ٢ ـ باقر آغا ، ٣ ـ داود آغا ، ٤ ـ قلندر آغا ، ٥ ـ عثمان آغا ، ٦ ـ حسن آغا ، ٧ ـ تامر (تەمەر ـ المترجم) آغا ، ٨ ـ حسن آغا نفسه • ويرى حسن آغا ان اسرته تحكم عشيرته منذ ما لا يقل عن ثلاثمائة سنة »(٥) • وقبل ثورة اكتوبر كان اوسو بيك ، وهو ابن حسن آغا ، يقف على رأس هذه العشيرة ، فيكون بذلك الحلقة التاسعة في شجرة هذه الاسرة • وكان اوسو بيك يتسلم راتبا تقاعديا من حاكم القفقاس لقاء ضبطه للاكراد «المتحركين» في المناطق الخاضعة لروسيا القيصرية •

هكذا نرى ان كبار الاقطاعيين الأكراد كانوا يمثلون في آن واحد السلطتين الدينية والدنيوية ، وقد تحول هذا الواقع الى احدى الوسائل المهمة لاخضاع الكادحين • فعلى سبيل المثال كان أمير عشيرة «ملي» يجمع سنويا ، وكأقطاعي ، الجزية والضرائب وأتاوات شتى لصالحه(٦) • وكان يأخذ ايضا «الزكاة» ، أي ان كل فلاح كان

(٥) س•أ•يگيزاروف ، المصدر السابق ، ص٢٠٢ •

(٦) كان ابراهيم باشا المعروف رئيسا لعشيرة الملي في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين • وهو يعتبر من اشهر رؤساء العشائر الكردية ، ان لم يكن اشهرهم قاطبة ، فكان على اتصال وثيق بشخص السلطان عبدالحميد • كانت ثروات ابراهيم باشا تقدر بمئات الالوف من الاغنام وعشرات الالوف من الخيول وخمسة الاف بندقية • وكان نفوذه مطلقا في ما لا يقل عن ٤٠٠ قرية مركزها ويران شهر • ويقدر عدد العوائل القبلية التي كانت تخضع له مباشرة بحوالي عشرة الاف اسرة ـ المترجم •

ملزما ان يدفع له سنويا عشر ما يملك(٧) ، بالاضافة الى تقديم ذبيحة له كانت تسمى بـ «خێر»(٨) • وفي الواقع كانت هــذه الالتزامات مفروضة على جميع أفراد العشيرة الخاضعين له ، والذين كــانوا يعتبرونه خلفا للخليفة فيقدمون له جميع الاتاوات المحددة • وبقصـد تخدير الفلاحين قام الاقطاعيون بمساعدة بعض رجال الدين (الملالي والشيوخ) بنشر خرافة مفادها : «بێ زەکات ، بێ‌خیر ، تۆ جــارێ نابی‌یه میر» أي (بدون الزكاة وندون ال «خير» لا تصبح رجلا ابدا)• وبهذا الاسلوب حاولت الطبقة المتحكمة بـكل قواها ، وبجميـع السبل تثبيت البناء الفوقي الايديولوجي القديم من أجل المحافظة على سلطتها وتقويتهـا •

من خصائص الاقطاع الكـردي المرتبط بحيــاة التنقل للناس الاحتفاظ بالعلاقات العشيرية بشـكل متشابك لا تجــد له مثيلا بين الشعوب الشرقية الاخرى • فمثلا احتفظ العديد من العشائر الـكردية بالنظام الطائفي ••• فلدى بعضها تنقسم طائفتا الشيوخ والـ « پير » الى طوائف أصغر ، وهي جميعها منغلقــة على نفسها ، اذ لا يسمح بالانتقال من طائفة الى اخرى • ولكن في الحقيقة ان قسما من طائفتي الشيوخ والـ « پير » قد تحول واقعيــا الى مستوى أدنى(٩) ، وان الاقسام الفقيرة من الطوائف ، حالها حــال بقية الفلاحين ، لا تملك

---

(٧) الاصح عشر مدخولاته ــ المترجم •

(٨) «خێر» ــ صدقة ــ المترجم •

(٩) في النص : « قد تحولوا الى البروليتاريا» ، اي الى صعاليك لا يمتلكون شيئا ، في الواقع يقصد المؤلف انهم قد تحولوا الى دون مستوى ابناء طائفتهم من حيث امكاناتهم المادية ــ المترجم •

شيئا ، وتعمل كعمال زراعيين أو تشتغل في الرعي ، وحتى ان قسما منهم يتحولون أحيانا الى ما يشبه العبيد • هكذا فاننا نجد داخل كل طائفة بعض الاغنياء والمتمكنين ، بينما تعيش الاكثرية التي تعمل لديهم في ظروف مزرية • فالجميع ملزمون باداء الفروض والضرائب الاقطاعية لرئيس(١٠) الطائفة • ومن الجدير بالذكر ان اسماء الطائفة او العناوين الدينية لدى الاكراد (من قبيل الشيخ والپير والقوال) تنتقل بشكل وراثي ، أي انها تنحدر بالاصل داخل اسرة معينة• ومن المهم ان نشير هنا الى ان الكثيرين يحملون مثل هذه الالقاب ، لكن دون ان يكون لهم مقام ديني أو تقديس شخصي • انهم يعملون في الواقع مثل بقية الفلاحين • وان هؤلاء يمثلون الاشخاص الذين يخرجون عن المقام الديني ويمتهنون الزراعة ، أو انهم قبل ذلك اصبحوا فقراء فتحولوا الى أجيرين أو عمال زراعيين ، حالهم في ذلك حال بقية الفقراء • ولدينا أمثلة من قرى جميع سكانها من هذا النوع • ففي قرية أستافلو التابعة لقضاء سورمالينسك في مقاطعة يريڤان السابقة كان جميع أهل القرية ، المتكونة من ٣٩ عائلة ، من الشيوخ الذين كان معظمهم يعيش حياة مزرية ، فقد كانوا يعملون كأجراء • ونجد أمثلة لهذه القرية في منطقة قارص ايضا ، ولاسيما في قرى سيچالو وكوسا ـ سوگوتلو وغيرها •

لكن يوجد بين رجال الدين الاكراد ايضا ملاكون كبار • فعلى سبيل المثال كان الشيخ عبدالقادر من گيلان يملك ٧٨ قرية مع اقنانها ، فكان سكان جميع هذه القرى خاضعين له • وقد لقيت مئات العوائل

(١٠) في النص «لاقطاعي الطائفة» ــ المترجم •

التابعة له حتفها بسبب الجوع ، وعلى الاخص في بداية القرن التاسع عشر عندما انتشر الطاعون بين مواشي هذه المنطقة • وكان الفلاحون الـذين يعملون في ارض هـذا الاقطـاعي يقومون بزرع التبغ والرز والعنب مع حقول واسعة للزيتون • وان جميع اراضي هذا الاقطاعي كانت اروائية تخترقها قنوات خاصة ، وقد كان الفلاحون ملزمين ببناء السدود (الترابية ـ المترجم) والجسور والطرق وما شابه • وكـان الفلاح يستخدم ثيرانه ومحاريثه ويأكل على حسابه الخاص ويتسلم مقابل كل ذلك « پاره پينجه » اي الخمس • لكن ما ان يتسلم الفلاح نصيبه ـ الخمس حتى كان وكلاء الاقطاعي يبدأون بأخذ الضريبـة الاقطاعية والزكاة منه •

وكان يتبع كبار الملاكين (مـــن رجـــال الدين ـ المترجم) الدراويش ، وتوجد لديهم التكايا(١١) • وقد اصاب تاردوف في رأيه

(١١) في العام ١٩٣٠ وصفت التكايا بالشكل التالي : « في احـدى البقاع المحاطة بالشجيرات والغابات لاحظنا بناية عالية جميلة محاطة بينابيع كبريتية غنية ، وينابيـــع للنرزان الممتـاز (نرزان ـ نوع من المياه المعدنية تشتهر به مناطق القفقاس ـ المترجم) • وكان يقطن هذه «التكية» ٨٠ درويشا بأمرة رئيس كان اسمه سعيد عمر • وقد استغل هؤلاء الدراويش بذكـاء جهل وسذاجة السكان المجاورين الذين كانوا ، الى جانب ذلك، يستغلون استغلالا مباشرا كعمال يخدمون في ارض الاقطاعي» (مجلة « أتيبست » ، العـدد ٥٣ ، ١٩٣٠) المؤلف • يقصد شاميلوف البحث الذي نشره في العدد ٥٩ (لا ٥٣ كما يذكر) من المجلة المذكورة تحت عنوان «الدراويش الكرد» والـــذي يحتوي على معلومات عن مناطق سكن الكرد ونفوسهم ، ووصفا ميدانيا للتكايا والتشكيلات الاجتماعية للطـــرق الدينيـــة السائدة بين الكرد وغيرها من المواضيع (راجع : «اتيبيست»، موسكو ، العدد ٥٩ ، ١٩٣٠ ، ص ٤١ ـ ٤٦) ـ المترجم •

بخصوص رجال الدين الملاكين حينما كتب يقول :

« الى جانب الرؤساء الكبار ، اي كبار الخانات (وهم رؤساء لاقسام العشيرة والاعضاء الصغار في الاسرة الكبيرة) والوكلاء (١٢) والكيخدا ، يجب ان نضيف للقمة الاقطاعية ايضا رجال الدين والسادة، وعلى وجه الخصوص مختلف شيوخ الطوائف لدى المتنقلين • فالكثير من هؤلاء الشيوخ هم اصحاب مواش وملاكون كبار ، وحتى مرابون »(١٣) •

توجد لدى الاكراد (المتنقلين منهم والمستقرين) بالاضافة الى العقائد الدينية العامة طقوس قبلية ، ورجال دين قبليون ، واعياد قبلية خاصة • فان عشيرة زيلي تتفرع الى عدد من الفخوذ يعرف الواحدة منها بال (سيكي) الذي ينتمي قسم منه الى اليزيدية ، لهم عيد موحد ، ويوم صوم موحد ، وعبادة موحدة • اما القسم المنتمي من هذا الفخذ الى الشافعية فلديه طقوسه ومعابده وعقائده العامة بالنسبة له والتي تختلف عما يسود بين السيكيين اليزيديين • ولابد من القول انه بالاضافة الى الاستغلال الاقطاعي والكوارث الطبيعية فان الطقوس الشائعة تؤلف (مع ما ينجم عنها من التزامات ـالمترجم) عاملا مهما في الاختلال بموازين حياة الفلاحين الاكراد •

في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بدأ الرأسمال التجاري ـ الربوي يظهر في كل مكان من كردستان •

(١٢) في النص : «الكلانتارية» ـ رئيس الحراس او المسؤول عن الجهاز القمعي ـ المترجم •

(١٣) ف• تاردوف ، المصدر السابق ، ص١٣٩ •

فقد توجه التجار الى شراء المواشي والاغنام والصوف ، وباشروا بنقل البضائع الى اسواق دمشق وحلب وبيروت ، وكانوا يبعثون بها حتى الى العاصمة استانبول • فقد كانت « دمشق وحلب وبيروت تتزود بالاغنام من كردستان ، وكانت استانبول وحدها تبتلع (١٤) ١ر٥ مليون رأس سنويا »(١٥) • ومن جانب اخر بدأت حقول كبيرة للزيتون تظهر في كردستان • ويعتبر التبغ الكردي من اجود انواع التبوغ(١٦) • كما يوجد (في كردستان ـ المترجم) العفص، وانواع مختلفة من المواد الاولية • وبدأ تصدير الصوف والجلود والامعاء (من المناطق الكردية ـ المترجم) الى الاسواق الاوروبية ، ولاسيما الى انكلترا وفرنسا • ومنذ بداية القرن الثامن عشر وجد التجار الاوروبيون طريقهم الى كردستان حيث كانوا يجلبون معهم انواعا مختلفة من الحلى ، ويأخذون معهم بضائع كردستان الثمينة • وقد بدأ في الوقت نفسه تطور المدن حول المراكز الاقتصادية(١٧) ،

---

(١٤) هكذا ورد في النص ـ المترجم •

(١٥) پ•ليرخ ، المصدر السابق ، ص٢٣ـ٢٤ • يضيف ليرخ فيقول ان كل جيش ابراهيم باشا اثناء حملة محمد علي الكبير على سوريا «كان يتزود باغنام كردستان» (المصدر نفسه ، الكتاب الاول ، ص٢٤) ـ المترجم •

(١٦) يعتبر كل ذلك من المنتوجات التي تعتمد في الغالب على التبادل النقدي ، مما يؤلف عنصرا مهما في تسريع حركة النقود ، وعملية تراكمها مهما كانت بطيئة ـ المترجم •

(١٧) يعود نشوء المدن الكردية وتطورها الى عهد أقدم بكثير من القرن الثامن عشر ، وقد سبق للمؤلف ان اشار بنفسه الى هذه الحقيقة • وهو هنا يقصد التطور اللاحق للمدن الكردية الذي نجم عن الاندماج التدريجي بالسوق الرأسمالية العالمية ـ المترجم •

مثل مدن سيفرك (٧٠٠٠ نسمة) ، وجزيرة ابن عمر على نهر دجلة حيث توجد اثار قديمة ، وماردين ونصيبين وغيرها • وقد بدأ بعض الاقطاعيين منذ القرنين الرابع عشر والخامس عشر باستخراج النحاس والرصاص والفضة ، وكان العديد من الاشخاص المغلوبين على امرهم يعملون في مناجم هذه المعادن(١٨) •

ادى استيلاء الاقطاعيين على اراضي الفلاحين ومراعيهم ، مع تطور التبادل البضاعي ـ النقدي ، الى انفجار انتفاضات فلاحية • فكما سبق ان قلنا كان الاقطاعيون الاكراد يفرضون اعمالا شاقة على الفلاحين لحفر القنوات وتشييد السدود والجسور • وكان على كل فلاح ، بالاضافة الى ما ذكر من فروض والتزامات اقطاعية ، ان يقدم للاقطاعي ثلاث احزمة من الحطب سنويا • ومن الجدير بالذكر ان جمع ثلاث احزمة من الحطب كان يؤلف ، في ظروف المنطقة الجبلية ، حيث تكون الغابات صغيرة والنقل صعبا ، عبثا ثقيلا(١٩) • وقد عقد التجار بدورهم وضع كادحي كردستان اكثر فاكثر ، اذ كانوا يجبرون الحرفيين المهرين في المدن الصغيرة على العمل من اجلهم • وهكذا فقد تعمق الاستياء اكثر فأكثر بين صفوف الكادحين الاكراد • وقد ترك الكثيرون منهم بيوتهم هربا من الاستغلال الاقطاعي ، وانتقلوا الى جبال كوليك«؟»(٢٠) المنيعة حيث

---

(١٨) من شأن كل ذلك زحزحة اسس الاقتصاد الاقطاعي التقليدي وتأشير بداية انحلاله ـ المترجم •

(١٩) راجع المقدمة ـ المترجم •

(٢٠) وضعت علامة الاستفهام من قبلنا ـ المترجم •

تجمع كل المتذمرين الذين أفلسوا تحت ضغط الاقطاعيين ، وكان يوجد بينهم المتنقلون ، وكذلك المستقرون • وبعد سنوات عدة ظهرت منطقة اخرى للـ «روى» اي الهاربين (الفارين) في جبال منطقة جزيرة ابن عمر على نهر دجلة •

هكذا كان يوجد في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر مركزان لالتجاء الجماهير الفلاحية المضطهدة الكادحة ـ جبال كوليك والاماكن الحصينة في جزيرة ابن عمر(٢١) • وكان المركز الاول في جبال كوليك يقع تحت سيطرة أحد الفقراء باسم تالور • وقد جمع هذا الزعيم حوله ، بالاضافة الى الكرد ، عددا كبيرا من الاثوريين والارمن المشردين • وقد وجه تالور اولى حملاته الى المنطقة(٢٢) الاثورية حيث كان يمر بها العديد من التجار الاوربيين والمبشرين • وقد قام الثوار بقطع الطريق بين آشور(٢٣) وديار بكر • بعد ذلك توجه تالور الى الاقطاعيين (الكرد ـ المترجم) في ماردين • وفي الطريق قامت قواته بنهب وقتل جميع من صادفت من الاقطاعيين ، وحرق قراهم ، ولم تستطع التقاليد التي تأصلت عبر القرون الصمود أمام تذمر الفلاحين

(٢١) عبر التذمر الفلاحي في كردستان عن نفسه بأشكال مختلفة، ولم يقتصر الامر على هاتين المنطقتين • وقد تجسد التذمر يومذاك في النضال العام ضد السيطرتين العثمانية والصفوية ومن ثم القاجارية ، وذلك ضمن قاعدة شاملة امتدت آثارها الى جميع شعوب المنطقة ، بما فيها الشعوب العربية والآذرية والارمنية وغيرها ـ المترجم •

(٢٢) في النص : «الطرق الآثورية» ـ المترجم •

(٢٣) ربما آشوت ـ المترجم •

وانتفاضاتهم • وحتى اليــوم يتغنى الرعـاة والزراع والفلاحون والكادحون الاكراد بالمآثر البطولية لفلاحي تلك الايام • وقــد سميت هذه المعركة في تلك الملاحم بمعركة التالورين ـ « شــەری تالوريكا »(٢٤) •

« شەڕی تالۆریکا ، شەڕەکی زاف گرانه
ئەڤا شەڕا بوونا بەگاو ئاغالەرانه
مه کره شەڕ هەتا مه بی تاری
هەقارا مه هات کەسیب و کەسەبه فێ دیاری »

(معركة تالوريكا » معركة صعبة للغاية
اندلعت المعركة هذه بسبب البيكوات و «الاغالر»
وقد حاربنا حتى اسدل علينا الظلام
وهب لنجدتنا كسبة المنطقة وسوادها)

من هــذا المقطع الصغير يمكننا معرفة الوضــع الاجتماعي للثوار ـ انهم كانوا من الفقراء • اما المضمون السياسي لانتفاضتهم فقد كان يستهدف تصفية البيكوات والآغوات • وقـد امتـد لهيب الانتفاضة الى العشائر المجاورة ، كما لم يقتصر الاشتراك فيها عـلى الفارين (الهاربين) فقط ، بل انضم اليها كذلك اناس لم يفارقوا مناطقهم على مر القرون • وفي خضم الاحداث الجارية استطاع ثوار عشيرة زريقي القبض على رئيسهم الذي أحرقوه في خيمته • وكما تشير القصص والاغاني الشعبية لم يقتصر الاشتراك في الانتفاضـة على الرجال وحدهم ، بل اسهمت فيها النساء الكرديات أيضا ، وحتى

---

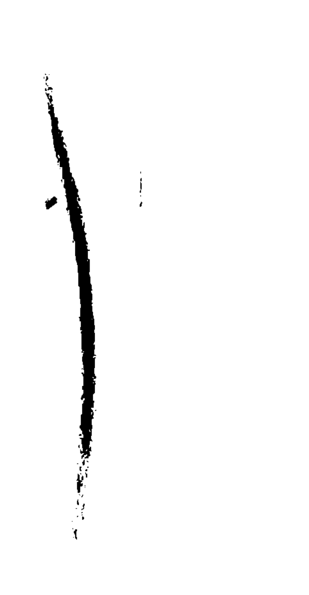
(٢٤) حرب (معركة ـ المترجم) تالوريكا • في المتن قمنا بترجمـة حرفية لتلك الاقسام من الاغنية التي لها أهميــة مباشــرة بالنسبة للموضوع الذى نعالجه ـ المؤلف •

ان احدى القطعات الثائرة كانت تعمل بامرة سيدة اسمها خزال التي احرزت قواتها انتصارات كبيرة على القوات الاقطاعية المسلحة بصورة جيدة اكثر من مرة • وبشكل عام دفعت انتصارات هذه الانتفاضة الفلاحية بالاقطاعيين الاخرين ليهبوا لمساعدة زملائهم • فمثلا قام تيمور باشا ، رئيس عشيرة كيكي القوية ، بدفع قواته الى مؤخرة الثوار ، واستطاع بذلك تكبيدهم خسائر جسيمة •

أما السبب الرئيس في تقويض قوات الثوار واندحارها فقد كان يكمن في خيانة قسم منهم ، اذ استطاع الاقطاعيون شراء ذممهم(٢٥) • وقد أدت هذه الخيانة من جانب ، وتحالف عدد من الاقطاعيين من جانب آخر ، الى قمع الانتفاضة في نهاية المطاف • وحسبما شاع بين الناس فان القنصل البريطاني المقيم في ديار بكر هو الذي لعب الدور الاكبر في توحيد الاقطاعيين • وقد تم اسر تالور من قبل الذين تم شراؤهم من المشتركين في الانتفاضة ، فقاموا بتسليمه الى احد الاقطاعيين الذي قام بحرقه علنا في قصبته • وبالرغم من حرق زعيم الانتفاضة ، وبالرغم من خيانة بعض

(٢٥) ان السبب الرئيس لاخفاق هذه الانتفاضة ، وغيرها من الانتفاضات والحركات التي وقعت في تلك المرحلة التاريخية يكمن في واقع الظروف الاجتماعية السائدة آنذاك ، والتي كانت تربط بين الرؤساء والمرؤوسين برباط وثيق ، فلم يكن الخروج عليها أمرا هينا • لذا بقيت الانتفاضات الفلاحية الصرفة التي شهدتها كردستان ما قبل الحرب العالمية الاولى محصورة في اطر ضيقة كانت وليدة شرعية لواقع الوعي الفلاحي ــ المترجم •

المشتركين فيها ، فان الكثيرين من الثوار ، ومعهم الاثوريون والارمن ، ظلوا يقاتلون الاقطاعيين وقواتهم لعدة سنوات اخرى في الجبال والوديان المنيعة . الا ان مسلحي الاقطاعيين استطاعوا قنص هؤلاء أيضا ، فتعرضوا بدورهم للشنق والتعذيب العنيف .



موقع ال « أوبا »
داخل العشيرة الكردية

لكي نستطيع كشف خواص « التنقل الاقطاعي» الكردي(١) يجب علينا البحث عن أبسط عنصر يكمن فيه كل واقع هذا الاسلوب من الانتاج ، شأنه في ذلك شأن «الخلية» الاساسية للعلاقات الاجتماعية . وبالنسبة للمجتمع الكردي المتنقل تؤلف الـ « اوبا » (أو الهوبة ـ المترجم) ذلك العنصر البسيط (لتنظيم ـ المترجم) العلاقات الاقطاعية . فان المتنقلين الاكراد كانوا يرحلون بامرة اصحاب المواشي الاغنياء . وان هؤلاء الاغنياء ، أو كما كانوا يسمون بـ (اوبا باشي) أو «پيگار»(٢) ، كانوا في الواقع هم الذين يأخذون

---

(١) يقصد المجتمع المتنقل الاقطاعي الكردي ـ المترجم .

(٢) «پيگار» يعني جمع الفئات العليا (الكولاك) في المجتمع الكردي ، وجمع اعضاء المجتمع نفسه كذلك ـ المؤلف . (لم نفهم قصد المؤلف من الفقرة الاخيرة : « وجمع اعضاء المجتمع نفسه كذلك » . اغلب الظن ان خطأ مطبعيا وقع في النص الروسي لهذا الهامش . ثم هل يجوز الكلام عن «الكولاك» في المجتمع الكردي آنذاك وبمثل هذا الاطلاق . فـ «الكولاك» هم بورجوازية الريف التي تتكون بالاساس من الفلاحين الاغنياء الذين تأتي مداخيلهم من استغلال العمل الاجير ، وممارسة التجارة والربا ، ومن تأجير الارض وحيوانات العمل وما شابه ـ المترجم) .

الارض من الاقطاعي ويجمعون حولهم عـــددا من الـ «جول»(٣) ويستغلونهم • وفي الوقت نفسه كان الـ «پيگار» او الـ «اوبا باشي» (أي رئيس الاوبا) وكيلا للاقطاعي يجمع لـــه كـــل الضرائب والالتزامات الاقطاعية ومختلف انواع الاتاوات التي يرتكز عليهـــا النظام الاساس للعلاقات الاقطاعية ، وكان يبعث ما يجمع الى البيك ـ الاقطـــاعي •

حدد س•أ• يگيزاروف طبيعة الـ «اوبا» على النحو التالي : « يؤلف ملاكو المراعي جماعة تسمى الـ «أوبا» و «زوما» ، وكـل واحد من هؤلاء يملك يورتاه(٤) (أي مـكانه) الخاص »(٥) • ولكن هذا ليس بصحيح أبدا • والواقع هو ان الارض التي تتبـع رؤساء الاسر الاقطاعية كانت تعطى كمرتع للماشية ، ومن اجـــل الحصول على مثل هذه الارض كان لزاما على عدد من العوائل تكوين «أوبا» ثم التوجه الى البيك • وان الفقراء الذين كانوا بحاجـة الى الـ «أوبا» كـــان عليهم تقديم قسم مـــن اغنامهم أو منتوجهم الى

---

(٣) «جول» مظهر اقتصادي ، كان الفقراء يعطون وفق تقاليـــده حيواناتهم للبيك أو الآغا ، وكانوا هم انفسهم يعملون لديهم على شكل «گاوان» اي رعاة • ويطلق اسم الـ «جول» نفسه على المشتركين في مثل هذه العملية الاقتصادية ـ المؤلف •

(٤) «يورتا» يعني مكان او مسكن لرحل اسيا الوسطى • أصـل الكلمة تركية ـ «يوردا» وتعني الموطن أو المكان ، وقـد دخلت قاموس اللغة الروسية كذلك ـ المترجم •

(٥) س•أ• يگيزاروف ، المصدر السابق ، ص١٨ • (وضع المؤلف خطـا تحت كلمتي (يملك) و (الخاص) بقصـــد التأكيـــد عليهما ـ المترجم) •

الاقطـاعي • والفلاحون كانوا يحتاجون الـ «أوبا» لان الاقطاعيين ـ كما سبق ان قلنا ـ استولوا على جميع انواع الاراضي ، ولم يبق للفلاحين سوى الـ «گوند» ، أي قطعة ارض صغيرة في القرية(٦) •

في رأي س•أ• يگيزاروف ان الـ « أوبا » ضـرورية لان « الاحتفاظ بالمواشي والرعاة مع الاخرين يكون ارخص بكثير ممـا لو قام صاحب كل بيت برعي حيواناته على انفراد »(٧) • وهكذا فهو يرى ان كل ما ترمي اليه الـ «أوبا» هو مصلحة الجميـع ، بينما لا يرى خلف الـ «أوبا» تلك الزمرة الاقطاعيـة التي كـانت تملك الارض • الواقع ان الـ «أوبا» تظهر منذ بداية تكوينها لا من أجـل الحصول عـلى الرعـاة بشـكل أرخص ، بل في سبيل ان تكلف الالتزامات الاقطاعية الفلاح أقل ، تلك الالتزامات التي عليه الايفاء بها للبيك مقابل استخدام أرضه • والى جانب هذا النوع كان يوجد نوع آخر من الاستغلال الاقطاعي الذي يسود الشرق كله • مـن الواضح ان التنقل يستوجب وجود حد ادنى من الماشية ، لذا كـان القسم المعدم من الفلاحين يعطون حيواناتهم للبيك أو الآغا ، أي الى مالك القسم الاكبر من قطعان الاغنام والماشية ، أما هم انفسهم فكانوا يصبحون «گاوان» ، أي رعاة لديهم • وكان يطلق على هذه العملية «جول» • لكنهم ما كانوا يتخلصون مقابل ذلك مـن دفـع ضريبة الأرض للبيك ، بل كانوا يدفعون له في الوقت نفسه جميـع انواع الضرائب الاخرى بشكل كامل • وكان أفراد عوائلهم جميعا ملزمين

---

(٦) تأتي الـ «گوند» بمعنى القرية في الاصل ـ المترجم •

(٧) س•أ• يگيزاروف ، المصدر السابق ، ص١٨ •

بالعمل لدى الاقطاعي مقابل محصولات قليلة تكاد لا تكفي لسد الرمق • أما المرأة الكردية فانها كانت تقوم ، فيظروف حياة التنقل وعلى شاكلة نساء المجتمعات الرحالة الاخرى ، بانجاز أعمال كثيرة في دار الاقطاعي (مثل حلب الاغنام وعمل الجبن وتحضير الدهن وما شابه من اعمال) •

هكذا فان «أوبه» و «جول» هما في الواقع تعبير واحد لنظام الاستغلال الاقطاعي ، وحسب هذه القاعدة بالذات ، أي امتلاك الاقطاعيين للارض والمراعي ، يظهر الاقطاع المتنقل(٨) • وفي الاقطاع الكردي المتنقل يطلق على عدد من الـ «بهر» غير المستقرين اسم «عيل» الذي ينقسم الى عدد من الـ «أوبا» والـ «جول» حسب تسمية الكرد لهما • ويعتبر الشخص الأكثر امكانية في الـ «اوبا» صاحبا للـ «وار» ـ أي منطقة الرعي والترحال • ومع الملاحظ أن العشيرة الكردية المتنقلة لا تستطيع الرحال بأسرها في المنطقة نفسها ، لذا فانها تنقسم على عدد من الـ «عيلات» يكون على رأس كل واحد منها وكيل يقوم بالاشراف على قطع الارض الواقعة في منطقة عيلاته • الا ان المؤرخين البورجوازيين يحاولون تجاهل هذا الشكل من الاستغلال الاقطاعي ايضا ، مع انه يعتبر ، في واقعه ، أهم اشكال ذلك الاستغلال • وان س•أ• يكيزاروف نفسه الذي يؤكد في الصفحة ١٨ من كتابه على ان «اوبا» يؤسس فقط من أجل المصلحة العامة للفلاحين ، يضطر ان يعترف في الصفحة ٨٤ بأن على رأس

(٨) اي المجتمع الاقطاعي المتنقل ـ المترجم •

«أوبا» يقف شخص أو شخصان يختلفان عن البقية بغناهما ، واحيانا حتى بانحدارهما العائلي(٩) • اما حول «انتماء» هـذين الغنيين المعروفين فهو يقول انهما «من الناس الطيبين»(١٠) • الا ان من المعلوم انه في المجتمعات الاقطاعية للشعوب المتنقلة تكون محاولات التقرب من الاقطاعي من جانب رؤساء هذه الفئة او تلك شائعة ، وان هؤلاء المقربين يتمتعون في الواقع بحقوق صغار الاقطاعيين في مناطقهم ، وهم (في الغالب ـ المترجم) ينتمون الى نفس اسرة الاقطاعي ، ويكونون من أقربائه المقربين ، وبالطبع لا يملكون الارض ، الا انهم يستغلون الفقراء بمستوى استغلال البيكوات اياهم •

هؤلاء هم اولئك المعروفون الذين يجتمعون في الـ «بيگار» ويأخذون المرعى لانفسهم • وهم كذلك أهم ممثلي (وكلاء ـ المترجم) الاقطاعي نفسه • ويقع على عاتق الـ «بيگار» جمع حراس البيك ، وكذلك جميع ما يدفع لقاء المرعى ليقدمه للاقطاعي • وقد كان الجانب الاكبر مما يدفع (لقاء المرعى ـ المترجم) عبارة عن منتوجات عينية ، اي انهم كانوا يدفعون الخرفان والاغنام والجبن وال «توراغ»(١١) ، أو أي شيء آخر من منتوجات المجتمعات المتنقلة • وكان هؤلاء الـ «بيگار» يسمون «مەزنێ زوم» او «اوبا باشي» ، وكانوا ملزمين بالمحافظة على حياة الامير ، وعلى الاستقرار داخل

(٩) س•أ•يگيزاروف ، المصدر السابق ، ص٨٤ •
(١٠) المصدر نفسه ، ص٨٨ •
(١١) الـ «توراغ» هو اللبن الخاثر الموضوع في كيس بحيث يتقطر منه الماء ويبقى اللبن المكثف ـ المترجم •

أوبته ، أو في الاوبات المجاورة • وكان على الـ «اوباباشي» ايضا ان يقوم بتقديم المنتوجات الضرورية لاتباع الاقطاعي الذين كانوا يجوبون (المنطقة ـ المترجم) بأمر من سيدهم •

هكذا كان الشكل الاولي (أو البدائي ـ المترجم) للعلاقات الاقطاعية بين الكرد الذين يزاول مجتمعهم تربية المواشي ، أي انه مجتمع متنقل • وقد ظل داخل ال «اوبا» نفسها بعض الاسر التي كان يقف على رأسها بعض الشيوخ الذين حازوا ثقة الاقطاعي • وينقسم كل «بهر» الى «اوبات» أو «زومات» منفصلة تدخل ضمن فلك الخضوع الاقطاعي • لكن رئيس الـ «اوبا» لا يتعرض بالطبع للاستغلال نفسه الذي تتعرض له جماهير المتنقلين •

وهنا بالذات يكمن ذلك التشابك الخاص الذي لم يفهمه المؤرخون البورجوازيون ، أو لم يريدوا فهمه ، وهو بقاء العلاقات القبلية الاولية ـ التنظيم القبلي الاولي «قبيل» الذي يخرج ابتداء من عائلة واحدة قائمة على علاقات الدم وعلى قاعدة التملك الخاص • وقد انقسم الـ «قبيل» في الـ «عيل» المتنقل الواحد الى عدد من الـ «اوبات» والـ «زومات» والـ «جولات» والـ «بيگارات» • الا ان هذه التنظيمات (أو الوحدات ـ المترجم) العشيرية لم تحتفظ بطابعها الاولي كما كان الامر عليه سابقا ، بل أصبحت تستند الى قاعدة الاستغلال الاقطاعي •

لكن مع كل ذلك فان س•أ• يگيزاروف يحاول باصرار ان يظهر الامر وكأن المجتمع الكردي ككل لا يؤلف «مشاعية ـ

ديمقراطية ـ ابوية » فحسب ، بل ان الـ «اوبا» بالـذات تشكل مثل تلك المشاعية الديمقراطية ـ الابوية • فهو يقول « ان جميع اعضائها ، الفقراء منهم والاغنياء ، يتمتعون بحقوق متساوية »(١٢)• حتى ان «رئيس الاوبا ليس الا الاول بين المتساوين» في نظر س•أ• يگيزاروف(١٣) • ولكن الطريف هو انه في أي شيء يرى المساواة في الحقوق ، بينما جميع اعضاء الـ «اوبا» والـ «جول» يعيشون في الواقع ظروف التبعية القاسية ؟• هنا لا يوجد ، في الواقع، ظل للمساواة • فان وجدت في كل «اوبا» قطعة مرعى جيدة فانها تكون حتما من نصيب الاقطاعي أو من نصيب رئيس الـ «اوبا» • وأكثر من ذلك فان هذا الاخير ما كان ليسمح لأي حيوان عائد لاعضاء الـ «اوبا» بالاقتراب من «يورتاه»(١٤) ، فقد كان يعتبر هذه الاراضي ملكا له • وكان على جميع الجيران الخاضعين للاقطاعي القيام بتنظيف أماكن قطعانه ونقل الاخشاب له وتشييد الـ «هوز» ، أي الحظائر الدافئة لخرفانه ، كما انهم كانوا ملزمين بالعمل لديه في الـ « گوند » والقيام بحصاد محصولاته وما شابه •

ان المؤرخين البورجوازيين اذ يقومون بدراسة المجتمعات المتنقلة يجدون لديهم اقتصادا «متجولا»(١٥) غير موجود في الاصل•

---

(١٢) س•أ•يگيزاروف ، المصدر السابق ، ص١٩ •
(١٣) المصدر نفسه •
(١٤) راجع الهامش رقم ٤ في موضوع موقع الـ «أوبا» داخل العشيرة الكردية ـ المترجم •
(١٥) من وضع المؤلف ـ المترجم •

وهذا غير صحيح بالطبع ، اذ توجد لدى المتنقلين حدود جد محددة لحلهم وترحالهم ، وهم يمتلكون في الـ «گوند» قطعا صغيرة من الارض • أما المراعي الصيفية والشتوية ، حيث يتنقلون بينها ، فانها تكون تابعة للبيك الاقطاعي • ولممتلكات كل اقطاعي حدود دقيقة تقوم عشيرته بالتنقل ضمنها • وعادة يعرف الرعاة المسنون كل تفاصيل حدود تنقل العشيرة ــ حدود الاراضى التابعة لرئيسها الاقطاعي • والراعي الذى كان يستخدم المرعى (ضمن هذه الاراضي ــ المترجم) كان عليه دفع «چوپ ــ باشي»(١٦) أي حق كل رأس من الماشية • ومن الجدير بالذكر ان الحدود لم تكن واضحة بين ممتلكات الاقطاعيين فحسب ، بل انها كانت واضحة ضمن ممتلكات كل اقطاعي بين مختلف وحدات الـ «بەر» والـ «عيلات» كذلك • وكان على رئيس كل من هذه العشائر القيام بجمع الضرائب للبيك مقابل استخدام المراعي • ولم يكن المتنقلون يملكون حق الخروج عن حدود المراعي ومصادر المياه المحددة • وبالطبع فان هذه الحدود لم تكن مخططة ، بل انها كانت حدودا طبيعية محددة من قبل البيك ــ الاقطاعي ، وكانت معترفا بها الى حد انها لم تكن معرضة للخرق •

فيما مضى كانت قوة الاقطاعي الكردي تقاس بما لديه من

---

(١٦) لا يستبعد ان يكون مصطلح « چوپ ــ باشى » مستقاة من « چوپان باشى » ، فان كلمة «چوپان» تعني الراعي في الفارسية والكردية ، وكلمة «باشى» تعنى الاول ، او الرئيس في التركية ــ المترجم •

الفلاحين ، لا بما كان يملك من الارض • وعلى ذلك تعتمد قدرته الاقتصادية بالدرجة الاولى ، فكلما زاد عـــدد الفلاحين في عشيرته زادت وارداته • وكان عدد هؤلاء الفلاحين يحـــــدد ، في الوقت نفسه ، قوته العسكرية • وقد كتب كارل ماركس بهـــذا الصدد يقول : « ان قدرة السيادة الاقطاعية ، مثل اي سيادة بوجـه عام ، كانت لا تحدد بمقدار ريعهم ، بل بعدد اتباعهم • وهذا الاخير مرتبط بعدد الفلاحين الذين كان لهم اقتصاد مستقل »(١٧) •

هنا نعود ونؤكد الاهمية الكبيرة لتوضيح الواقـع التاريخـي والاقتصادي لـ «اوبا» وموقعها في الاقتصاد الكردي المتنقل • قبـــل كل شيء نحن لا نجد لدى الكرد قبل التحول الاقطاعي للمجتمـع الكردي مصطلح «أوبا» أو «زوما»(١٨) ، بل نجد لديهم دائمـــا ، وفي حالة المفرد كلمة «كون» أي الخيمة(١٩) • وفي العادة يوجـه مثل هذا السؤال : «من أي خيمـــة أنت ؟ » أو « الى أي عشيرة (بهر أو قبيل) تنتمي ؟ » • اما كلمة «أوبا» فانها ظهرت فقط عندما فقدت المشاعية أهميتها كظاهرة (اجتماعية ـ المترجم) •

هكذا لم تكن الـ «اوبا» موجودة عندما كانت المشاعية المتنقلة الحرة السابقة تمتلك ارضا حرة ، وتنتقل الى حيثما تريد بحرية •

---

(١٧) كارل ماركس ، رأس المال ، الجزء الاول ، ١٩٣١ ، ص٥٧٥ •

(١٨) تطلق بعض العشائر الكردية على «أوبا» اسم «زوما» ، أمـا اللر فيسمونها «قيتول» • الا ان العشائر الفارسية والكردية والاثورية المتنقلة فانها تستخدم «أوبا» بشكل عام ـ المؤلف•

(١٩) كلمة «كون» تأتي بمعنى القديم كذلك • وللخيمة تستخـدم أيضا «خيّوەت» ــ المترجم •

لكن مع ظهور الـ «اوبا» يفقد الفرد المتنقل حريته الشخصية ، اذ لا يتمكن (في المرحلة الجديدة ـ المترجم) من الانتقال من مكان الى اخر بحرية بسبب انتزاع الاقطاعي لملكية الارض ، مما ادى الى ان تكون للـ «اوبا» اماكن محددة للتنقل سواء لمناطق الرعي الصيفي «زوزان» ، او الرعي الشتوي «قشله» ، والرعي في الربيع حيث المناطق الدافئة ـ « دولگه » • و « دولگه » هي التنقل اثناء تكاثر حيواناتهم في الوديان والمراتع الصغيرة هناك • ويحدث في بعض الاحيان ان يتغير تركيب الـ «اوبا» بان يكون هناك في سنة ما بعض الوجوه ، وبعض العوائل ، بينما تتغير في سنة اخرى ، لكن دون ان يؤثر ذلك على واقع الامر في شيء ، ذلك لان المهم هنا هو وجود الجزية (الضريبة الاقطاعية ـ المترجم) ونظام العمل (او التعامل ـ المترجم) • فان اهم الوجوه في الـ «اوبا» هم الـ «بيگار» ، اي الذين يؤلفون المستأجرين الرئيسيين للارض • وهم في الوقت نفسه يجمعون حولهم العوائل الفقيرة الصغيرة التي يطلق على افرادها واقتصادياتها بالكردية اسم الـ «جول» • وهؤلاء هم الذين يقومون برعي حيواناتهم ، وحيوانات الاقطاعي • ومن هنا اذا قسمنا اوقات العمل في الرعي نرى ان القسم الاقل منها يصيب حيواناتهم الخاصة لانهم يملكون القليل منها ، بينما يخصص القسم الاكبر من ايام عملهم لخدمة حيوانات الـ «بيگار» ، او الاقطاعي الذي يكون لديه دائما عدد كبير منها ، فيقوم بجز صوفها وعلاجها وغسلها وخزن العلف لها لفصل الشتاء وما شاكل •

مما سبق يتبين انه يوجد في المجتمــع الـكردي الاختلافات الطبقية التالية :

الاقطاعي (الامير ، البيك ، الاغا) ــ وهم اصحاب الارض • ويأتي بعدهم كيخدا وهو صاحب الـ «بيگار» الثري ، وتقع في حوزته منطقة الرعي وال « جول » • وان عدد هذه ال « جولات » ليس ثابتا، بل ان الواحد منها يتألف من عشرين مزرعة (جماعــة زراعية ــ المترجم) فما فوق • ومن الصعب ، بدون شك ، حصــر جميـع الاعمال والالتزامات التي على اعضاء الـ «جول» القيام بها وانجازها للاقطاعي جبرا • ففي ال « اوبا » يقومون باهم الاعمال من قبيل جمع الحشيش لحيوانات الأقطاعي ، وبذر الحبوب والدراســة ، وجــز وغسل حيواناته(٢٠) ، وبناء الحظـائر الصيفية والشتوية ، وكذلك الـ «هوز» (اي الحظائر الدافئة للخرفان وصغار الماعز والعجول) ، وجمع الاخشاب وما شابه • ويـكمن مضمون الاستغلال فــي ان الأقطاعي يستلم الريع لقاء المراعي « يايلغ » او « زوزان » ، وكذلك لقاء «قشلاق» والـ «دولگه» • وهنالك ايضا شكل اخر (للاستغلال ــ المترجم) وهو المساعدات الالزامية التي انحدرت بالاساس مــن المشاعيات العشيرية ، وبدأ الأقطاعي يستغلها لنفسه ، وقد اشرنا الى جميع اشكال هــذه المساعدات •

ان سعة مناطق الرعي التابعة للاقطاعي الكردي تحول دون ان يستطيع بنفسه الاشراف المباشــر عـلى المراعي الصيفية والشتوية

(٢٠) يحتاج غسل ٣٠٠٠ ــ ٤٠٠٠ رأس غنم مع خرفانها الى جهد كبير ــ المؤلف •

المتباعدة احيانا عن بعضها لمسافات تبلغ اكثر من مئات الكيلو مترات في الجبال ، لذلك يعطي هذه المناطق لاقطاعيين صغار (او لاقربائه) الذين يقعون ، مع قبائلهم ، تحت سيطرة الاقطاعي الكبير • ويتخذ هذا التدرج الشكل التالي : «القبيل» ينقسم الى «اوبا» التي يقف على رأسها مجلس للشيوخ ، وعلى رأس المجلس يقف الـ «كيخدا» • ويدخل جميع ال « القبيل » (القبائل ـ المترجم) في ال « بەر » الذي يقف على رأسه اقطاعي صغير هو الـ «آغا» • ويدخل عدد من الـ «بەر» مع رؤسائه في عشيرة او «عيل» واحد • وان هؤلاء الـ «آغالر» اي رؤساء ال «بەر» يشكلون مجلس الاقطاعي الذي يجمعهم فقط في حالات مهمة جدا كحالات الحرب مع العشائر المجاورة ، او عندما يقف ضد هذه الدولة او تلك التي يخضع لها •

ويجب الا ننسى ايضا ان الدراويش الاكراد كانوا ، مثل رجال الدين الاوروبين ، اقطاعيين كبارا (٢١) يمتلكون مساحات شاسعة لم تكن صالحة للرعي فحسب • بل كانت في الغالب اراضي اروائية صالحة لزرع جميع انواع الغلال • وكان العديد من الدراويش يزاولون الربا في الوقت نفسه(٢٢) •

---

(٢١) اغلب الظن ان المؤلف يقصد هنا شيوخ الطرق ، لان كلمة «دەرويش» في الكردية تطلق عادة على الانسان المائل الى الزهد وهو في الاغلب فقير معدم لا يملك شيئا ، او يملك شيئا لا يذكر • أما شيوخ الطرق فرغم كونهم يسمون انفسهم دراويش ايضا من باب ادعاء الزهد الا أنهم يتمتعون بنفوذ مادي ومعنوي كبير في العديد من المناطق الكردية ـ المترجم •

(٢٢) في معظم المناطق الكردية يمارس المتدينون الربا عن طريق ما يطلق عليه اسم الـ «سەلەم» ، أي البيع على الاخضر • وهو

تلعب المراعي ومصادر الماء مع الحيوانات الدور الاساس في اقتصاديات المجتمعات المتنقلة ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك • وعادة يسيطر رؤساء العشائر في مثل هذه المناطق على جميع مصادر المياه من جداول وينابيع كانت في السابق تستخدم من قبل جميع الرعاة ، بينما يأخذ الرؤساء الان مقابل الاستفادة منها ما يسمى بـ « حەقی دەلاو » الذي يدفع عادة عن كل مائة رأس غنم(٢٣) • من هنا فان مقدار ما كان يدفعه كل عضو في الـ «اوبا» يعتمد على ما يمتلك من حيوانات • وكان كل فلاح ملزما بان يقدم للاقطاعي صوف غنم واحد من كل عشرة يجز صوفها مع زوج من الجواريب (الصوفية ـ المترجم) وقطعتين من الجلد لصنع الحذاء ، وكان ذلك من اجل الانفاق على رجال البيك •

والشكل الاخر للاستغلال الاقطاعي هو ما يسمى بالـ «خوش نشين»(٢٤) ، والذي جاء تفسيره من جانب ف•ب•راستوپچين(٢٥) بشكل غير صحيح تماما حينما يدعي انه يعني «اسكان الفلاح حيثما

= الربا بعينه مع التفاف واضح على الشريعة ، بل أحيانا يكون نقله اكبر من اعمال الربا الشائعة ، ذلك لان صاحب المال يستغل حاجة الفلاح الملحة للنقود فيفرض عليه شروطا قاسية للغاية تؤدي في أحيان غير قليلة الى افلاسه ـ المترجم •

(٢٣) يقصد ان هذا الـ «حق» كان يدفع للاقطاعي من جانب الرعاة لقاء استخدام مصادر المياه التابعة للاول ، وكان الحساب يجري على اساس كل مئة رأس من الحيوانات التي كانت تستفيد من تلك المصادر ـ المترجم •

(٢٤) تعني «خوش نشين» حرفيا الجلوس المريح ـ المترجم •

(٢٥) نشر المستشرق السوفيتي ف•ب• راستوبچين في العقد الرابع عددا من البحوث القيمة حول الاكراد • وهو صاحب اول بحث =

يرغب» (٢٦)• في الواقع ان الفلاحين ما كانوا يسكنون حسب رغبتهم بموجب (نظام ـ المترجم) « خوش نشين » • كان هؤلاء ينتمــون عادة الى الفخوذ الصغيرة جدا والذين تعرضوا الى خراب كبير على ايدي الاقطاعيين ورجالهم ، فانتقلت اراضيهم الى الاولين الــذين كانوا يقومون باستغلالها ، بينما اصبحوا هم مجردين من ملكيتها • كما انهم اصبحوا في الوقت نفسه محرومين من امكانية التنقل ايضا لانه لم يبق لديهم الحد الادنى من الحيوانات الضرورية لــذلك • وهذا يعني ان وجودهم اصبح يعتمد على الاقطاعي وغيره من صغار رؤساء العشائر • وقد منح قسم منهم قطعا صغيرة من الارض عنــد سفوح الجبال ، اي ضمن ذلك النطاق المناخي الذي يقع في الاصقاع

= بيبلوغرافي عنهم (راجع مجلة «الشرق الثورى» ، موسكو ـ لينينغراد ، العدد ٣ـ٤ ، ١٩٣٣، ص ٢٩٢ـ٣٢٦ ، العدد ٥ ، ١٩٣٣ ، ص ١٥٩ـ١٧٣) • في بحثه القيم « ملاحظات حــول الكرد » (مجلة «النشرة الصحفية للشرق الاوسط» ، طشقند، العــدد ١٣ـ١٤ ، ١٩٣٣ ، ص٧٢ـ٩٣) يتطــرق ف•ب• راستوپچين بأسلوب علمي الى عدد من المسائل المهمــة التي تتعلق بالعلاقات الزراعية في كردستان من قبيــل النظــام العشيري ، وعملية تحويل المتنقلين الى مستقرين ، والعلاقات بين الرحل وغيرهم ، ومواضيع اخرى مهمة في هذا المجال • وفي البحث نفسه ينتقد المؤلف موضوعيا المستشرقين الــذين قيموا بصورة غير صحيحة صفحات مهمة مــن تاريخ الشعب الكردي ، منهم مستشرقون سوفيت يقول عنهم راستوپچين انهم ابتعدوا عن الواقع«تحت ستار ماركسي خفيف»ـالمترجم•

(٢٦) راستوپچين ، النشرة الصحفية للشرق الاوسط ، ١٩٣٢ ، ص٨٢ • (يقصد بحث ف•ب• راستوپچين « ملاحظات حول الكرد » المنوه عنه في الهامش السابق ـ المترجم) •

الجبلية عادة في منتصف الطريق بين منــاطق سكنى (المتنقلين ـ المترجم) الصيفيــة والشتوية في الـ «گوند» حيث يبــدأ هؤلاء الفلاحون بمزاولة الزراعة • اما مصطلح «خوش ـ نى شين » او « خوش ـ نى ـ ژين » فانه مركب من «خوش» اي جيد و « نى » الذي يعني لا (أي تعبير عن الرفض) و«ژين» هي الحياة ، فيــكون معناه (الحياة غير الجيدة) **(٢٧)** • وقد بقي هؤلاء نتيجــة اضطهاد الاقطاعيين واستغلالهم مجردين الا من قطعة ارض صغيرة ، وكانوا يدفعون نوعا من الضريبة الاقطاعية باسم «مالىدو» اي ضريبة الدخان•

اما ف•ب• راستوپچين فانه كتب يقول « عادة كان الـ ـ خوش نشين ـ يستقرون على طريق تنقل العشيرة ، او في مقرها الشتوي حيث كانوا يبقون ويحضرون للعشيرة المؤن الشتوية مــع العلف لحيواناتهم »**(٢٨)** • ان ف•ب• راستوپچين لم يفهم حقيقة ان هؤلاء الـ « خوش نشين » لم يستقروا بمحض ارادتهم ، بل انهم بعــد

---

(٢٧) تفسير المؤلف مصطلح « خوش نشين » بـ « خوش ـ نى ـ شين » او « خوش ـ نى ـ ژين » غير صحيح كليا • فالمصطلح بحد ذاته ، وفي هــذا المجــال ، يعني الحياة المريحة • والواقع ان مصطلح (خوش نشين) في الحياة الفلاحية الكردية يطلق عــلى اولئك الذين يربون الاغنام ، ويستقرون في اي مــكان يجدونه مناسبا لرعي اغنامهم • ومن هنا يتبين انه لم يــكن هنــاك مبرر للمؤلف لتخطئة تفسير راستوپچين للمصطلح • فهؤلاء الـ (خوش نشينية) كانوا مضطرين بحكــم بحثهــم دائما عن المكان الانسب لرعي حيواناتهم لدفع اي اتاوات او ضرائب يفرضها عليهم اصحاب الارض ـ المترجم •

(٢٨) ف•ب• راستوپچين ، ملاحظات حول الكرد ، ص٨٢ •

تجريدهم من الارض من قبل الاقطاعي كانوا يبقون في نفس المـــكان الذي كانوا يعيشون فيه • وانهم وان امتلكوا قطعة ارض صغيرة فانها كانت تكفي بصعوبة لضمان الحد الادنى من حياتهم وهم ، مع ذلك ، كانوا ملزمين بالعمل لاوقات طويلة خلال السنة للاقطاعي ، وكـــان عليهم دفع الضريبة او الريع الذي كان يحدده الاقطاعي • وكـــان هؤلاء الـ «خوش ـ نى ـ ژين »(اصحاب الحياة التعسة) «؟»(٢٩) بالذات يؤلفون الفلاحين الاقنان الاوائل لدى الاقطاعيين المتنقلين ، فكانوا يؤدون له التزامات مختلفـة ، ويحضرون العلف لحيواناته • وهذا الاخير هو الركن الاساس الاول في حيـاة المتنقلين والاقطاعي نفسه • من هنا لا يبقى مجال لوجود مثل هؤلاء الـ «خوش نشين»ية الذين يختارون ، كما يرغبون ، مكان سكناهم • ولـكن يحـدث ان تهرب عوائل فلاحية كاملة عن اقطاعي ضعيف الى اخـــر اقوى بامل تحسين وضعها • الا انه ، في الواقع ، لا يطرأ اي تحسن على اوضاع هؤلاء الذين تبقى ظروفهم كما كانت في السابق ، بل وحتى تسوء في بعض الاحوال •

والاغرب هو ان ف•ب• راستوپچين في كلامه عن الـ «خوش نشين » يعرضه كمظهر رأسمالي لم يكن موجودا لدى الاكراد ابداء فهو كتب بهذا الصدد يقول : « الخوش نشين ـ هو الكردي المعـدم او الفلاح الدخيل (؟)(٣٠) الذي استقر على الارض العائدة لزعيـم العشيرة ، او لشاعية العشيرة ، ويقوم بزراعتها مستلما (مـن الزعيم

(٢٩) وضعت علامة الاستفهام من قبلنا ـ المترجم •
(٣٠) وضعت علامة الاستفهام من قبل المؤلف ـ المترجم •

او العشيرة ـ المترجم) كل ما هو ضروري من ثيران وادوات زراعية وبذور وما شابه » • وحسب هذا القول يقوم الكردي المعدم ببيع قوة عمله ، اما جميع وسائل الانتاج الضرورية الاخرى من ارض والات زراعية وثيران للحرث فانه يستلمها من صاحب الارض •

ان خطل مثل هذا الرأي باد للعيان • فلدى الـ «خوش نشين» حيواناتهم الضرورية لفلاحة الارض ، وهم يملكون في ال « گوند »، اي في منطقة القرية ، قطعة ارض ، كما سبق الذكر • الا انهم يعملون مع ثيرانهم ، وبالاتهم الزراعية لدى الاقطاعي ، اي في ارضه، ولا يتسلمون مقابل ذلك اي شيء • فهم ملزمون بالعمل للاقطاعي في ارضه ، وبجمع العلف لحيواناته • اما الشكل الذي يتحدث عنه ف• ب• راستوپچين فانه كان موجودا في الاونة الاخيرة، اي في بداية القرن العشرين ، لكن لا عند الاقطاعيين ، بل لدى مؤجري الارض، او الذين قاموا بشرائها • فقد قام هؤلاء بجمع انواع الادوات اللازمة للانتاج الزراعي ، ومقابل ذلك كانوا يأخذون لانفسهم ٨٠٪ من الانتاج ويبقون لهم ٢٠٪ منه فقط • وفي الخريف كانوا يقدمون القروض للفلاحين المعوزين • وبهذا الشكل كان جميع الفلاحين واقعين تحت رحمتهم • وكانت عوائل كاملة تقوم بتنظيف الارض من الاحجار « چه‌گيل كردن وباستئصال النباتات الضارة ، وما شابه •

تثبيت الالتزامات الاقطاعية

ذكرنا من قبل انه لا يوجد متنقلون لا يحتفظون بنوع او اخر من الصلة بالزراعة • فالاكثرية الساحقة من المجتمعات المتنقلة تزاول الزراعة ولو في نطاق ضيق • لكننا نجد بين الكرد فضلا عن العشائر المتنقلة عشائر اخرى تزاول برمتها الزراعة بشكل مطلق • ومثـــل هذه العشائر تقوم عادة بزراعة القمح والشعير والتبغ ، كمـــا تهتـم بالبستنة • وان الاستقرار بين الكرد جـــاء بالاساس نتيجة استيطان الناس المعدمين الذين فقدوا امكانات التنقل(١) • وكمثل لهذا النوع من الاستقرار نورد الـ «خوش نشين» الـذين تطرقنا اليهم • فهؤلاء بعد ان تحولوا تحت ضغط الاقطاعيين الى اناس معـدمين يفقـدون امكانية التنقل فيستقرون على ارض الـ «گوند» ما دامت المراعي قد اصبحت في حوزة الاقطاعي •

لكن حتى هنا نلاحظ العلاقات العشيرية نفسها • فالعشيرة التي تعيش في قطعة كانت متنقلة في البداية ثم استقرت • هنـا يلعب ارواء الارض دورا اساسيا • فالانهار التي تجري من الجبال العالية تؤلف احتياطيا كبيرا لسقي الارض وتوسيع الانتـاج • فالـكرد يقولون : « ئەرزی بی ئاڤ نه ئەرزه » اي « ان الارض التي لا ماء فيها ليست

(١) اي الذين فقدوا وسائط النقل وارض الرعي ــ المترجم •

بارض » • وقد احتفظ الاقطاع بالعلاقات العشيرية هنا ايضا • فقـد قـام الاقطاعيون في منـاطق الاستقرار بتسخير عشائر برمتها لفتح القنوات وبناء السدود والسواقي الصغيرة • فكل فلاح ، او كل فخذ ، كان ملزما بان يقوم خلال السنة ، ولمرات عديدة ، بحفر القنوات ، وتنظيف الجداول ، وترميم السدود • وكانت امواج المياه الربيعيـة الناجمة عن ذوبان الثلوج في الجبال تجلب معها ، الى جانب الفوائد ، الكثير من الاضرار • فهي تجرف امامها السدود ، وتخرب القنوات ، فكان يصبح لزاما على الناس العمل من جـديد من اجل الاقطاعيين • وما كان يحق لاي فلاح كان فتح قناة لنقل الميـــاه مــن الجداول والنهيرات الى ارضه بدون موافقة مسبقة من جانب الاقطاعي • وفي حالة السماح له بذلك كان يقع تحت رحمة الاقطاعي ، ويصبح ملزما بالعمل له خلال ايام محددة • هكذا كان على الفلاح ان يناضل ضـد الجوع ، ومن اجل الماء ، وفي سبيل الارض •

وقد كان الاقطاعيون يتمكنون عن طريق مناورات مصطنعـة من جعل الفلاح تحت رحمتهم بشـكل او باخـر • ففي منطقـة شمدينان على الحدود الايرانية في تركيا كان يوجد فلاحون يتمتعون بحق الاستفادة من الميـاه ، الا انهم لم يملكوا الارض • فـكانوا يضطرون ، نتيجة ذلك ، للالتجاء الى البيك من اجل الحصول عـلى قطعة ارض • ويحدث العكس ايضا عندمـا يملك الفلاح الارض ، ولا يتمتع بحق الاستفادة من مصادر المياه • وعـادة كانت الحقوق المكتسبة ، والتقاليد تعطي البگوات امكانية الاستيلاء على مصادر الماء ،

وعلى الارض ايضا • وفي كـــل الاحوال كانوا يحققون ذلك بقوة السلاح والاخضاع التدريجي •

ومن الجدير بالذكر ان حفر قنوات الري ، واقامـــة السدود لمقاومة الفيضانات ، وبنـــاء الجسور عـــلى الانهار الجبلية المتدفقة ، وتشييد القلاع في الجبال الحصينة لردع المعتدين ، كان يتطلب تنظيم قوة العمل على أساس تعاوني بدائي • وان مثل هذا التعاون الذي كان لابد منه في سبيل انجاز هذه الاعمال الكبيرة للاقطاعي ، كـان يعتمد لدى الملاكين (المستقرين)(٢) الكرد على حقيقة ان بعض الافراد «لم يقطعوا بعد الحبل السري الذي كـان لا يزال يربطهم بالعشيرة ، أو المشاعية » (ماركس) • لكن هذا التعاون كان يعتمد في كردستان لا على التملك الجماعي لشروط (وسائل ـ المترجم) الانتاج ، بل على علاقات السيطرة والاخضاع المباشرين ـ وهما من ميزات الاقطاع • فنحن نجد هنا اعمال السخرة ، اذ كان على الفلاح ان يعمل لمدة يومين لنفسه ، ويعمل لمـــدة ثلاثة أيام في أرض الاقطاعي يستخدم خلالها ثيرانه و «جوته» (أي كان يعمل بوسائل انتاجه) • وان شكلا آخر من تبعية الفلاح نراه في حالة الشخص الذي لم يكن يملك الارض ، فكان عليه استئجارها من الاقطاعي ، ويقدم لـــه مقـــابل ذلك ثلث الانتاج ويحتفظ لنفسه بالثلثين المتبقيين ، مع العلم انه كـان يستخدم ثيرانه وبذوره ووسائل انتاجه • ويعرف هذا بالـ «نيوه كارى»(٢)، وهو شائع الى حد كبير بين جميع الاكراد ، وان كانت نسبة تقسيم

---

(٢) من وضع المؤلف ـ المترجم ·

(٣) اي العمل بالمناصفة ـ المترجم ·

الحاصل فيه تكون قابلة للتغيير • ففي كردستان تركيا ، مثلا ، يحصل صاحب الارض على خمس أو ربع المنتوج فقط •

فضلا عن ذلك كان على كل كردي(٤) ان يقدم ريعا عينيا للاقطاعي من كل شيء ينتجه • فمن كل عشرة رأس غنم (مولود ــ المترجم) يقدم واحدا للاقطاعي • ويقدم له النسبة نفسها من الصوف والسمن والجبن وما شابه • وكان على الفلاح الكردي ان يدفع للاقطاعي أيضا نسبة عينية معينة من انتاجه البيتي : «تير» واحد (أي خرج للدابة) ، و «قاريس» واحد (وهو حبل مصنوع من الصوف لشد حمل الدابة) ، «جوت گوری» (زوج من الجواريب) وما شابه • وبعد ظهور علاقات التبادل البضاعي ــ النقدي تحول هذا الالتزام العيني الى ضريبة نقدية •

بالاضافة الى ما ذكرنا كان يوجد بين الاكراد المستقرين جميع أشكال الالتزامات الموجودة بين المتنقلين والتي سبقت الاشارة اليها ، مثل «رزو» و «زباله» وما شابه • وهي كانت بمثابة قروض مختلفة •

الى جانب كل هذه الضرائب كان للاقطاعيين الكرد موارد اخرى مصدرها العادات والتقاليد السائدة • وهي كانت موجودة بين الكرد المستقرين والمتنقلين على السواء ، فيما يلي نماذج منها :

١ ــ في حالة موت فلاح تابع لا وريث له تنتقل جميع ممتلكاته الى الاقطاعي •

(٤) الاصح : كل فلاح كردي ــ المترجم •

٢ ـ اذا توفى صاحب البيت وكان له ورثة فان ممتلكاته كانت توزع على ابنائه وعليه ، وحصة صاحب البيت المتوفي كانت تنتقل الى الاقطاعي(٥) .

٣ ـ ما كان يحق للفلاح التابع ان يقوم بزيارة الاقطاعي في أيام الاعياد بدون هدية مناسبة لمقامه . وفي الواقع كان كل كردي ملزما بتقديم مثل هذه الهدية خلال المعايدة . وهي كانت تقدم كذلك خلال الاحتفالات الخاصة بالاقطاعي (في ميلاد ابنه ، أو زواجه او زواج شقيقه أو ما شابه)(٦) .

٤ ـ في حالة الفواجع العائلية (من قبيل موت والد الاقطاعي أو والدته او ابنه أو زوجته أو شقيقه او اي من أقربائه المقربين) كان على الفلاح تقديم بعض الحاجيات اثناء مؤاساته التي تعرف بالـ «سهر خوشي» (حرفيا : سلامة الرأس) أي «لتسلم انت» .

٥ ـ اذا تزوج ابن التابع ، أو تزوجت ابنته ، فكان عليه ان

---

(٥) بعد ضم مناطق ما وراء القفقاس (الى روسيا ـ المترجم) جردت الحكومة القيصرية البيكوات من هذا الدخل . لكن خلال حكم الطاشناق لارمينيا في عامي ١٩١٨ و ١٩١٩ اعيد من جديد الى الاقطاعيين الاكراد اوسو بيك تيموروف وعقيد بيك تيموروف وجيهانگير بيك تيموروف ـ المؤلف . بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية بفترة وجيزة شكل الطاشناقيون في جزء من ارمينيا الشرقية حكومة قومية ـ بورجوازية استمر وجودها لاكثر من عامين (من مايس ١٩١٨ حتى تشرين الثاني ١٩٢٠) ـ المترجم .

(٦) س. أ. يگيزاروف ، ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

يقدم للاقطاعي خروفا أو ثورا • ويعرف هذا بالـ «ته كليف كرن» أي (القيام بالوليمة) •

٦ ـ أثناء توسط الاقطاعي لحل الخلافات بين الفخوذ المختلفة كان على الطرفين المتنازعين تقديم «خه لات» (حرفيا : هدية ـ المترجم) له • وهو كان بمثابة جزاء عن تعكير الأمن •

٧ ـ كانت احدى أهم وسائل ضمان الدخل بالنسبة للاقطاعي، تعرف بالـ «جرم» (اي الجزاء عن تعكير النظام او الخروج على أي من القوانين والتقاليد التي وضعها الاقطاعي) •

٨ ـ كان الفلاحون الفقراء جدا ، الذين يعجزون عن تقديم «الهدايا» الثمينة للاقطاعي ، يشتركون مع بعضهم البعض للايفاء بما كان عليهم •

٩ ـ في بعض الاحيان كان رئيس العشيرة (الاقطاعي) يقوم بمصادرة ممتلكات الآخرين ، وهو ما يعرف بالـ «تالان» أي سلب من كان يطرد من المجتمع • وهذا يشبه ما كان سائدا من حق المعاقبة بين الروس القدماء(٧) •

كان على كل (فلاح ـ المترجم) كردي أداء جميع ما ذكرنا من الضرائب والالتزامات للاقطاعي •

مع ظهور علاقات المقايضة ـ التجارية في الزراعة وتطورها، نلاحظ

(٧) يورد المؤلف هنا الاسم الروسي لهذا التقليد الذي تكون ترجمته الحرفية كما يلي : « الى السيل والسلب » ، وله معنى مجازي هو الافقار التام أو الكلي ـ المترجم •

ايضا تطور علاقــات الاستئجار في اقتصاديات المستقرين والمتنقلين كذلك • لكن يجب معالجة هذا الموضوع بكل حذر ، خاصة لاننـا نجد هنا (في كردستان ـ المترجم) انواعا من العمال الزراعيين الذين لا نجد لهم مثيلا بين أي من الشعوب المجاورة للكرد • ولدى الكرد توجد اربعة انواع رئيسة من العمال الزراعيين هي :

النوع الاول : موجود لــدى المتنقلين وهو الـ «شوان» ، أي راعي الغنم الذي يستأجر عادة لفصلي الصيف والشتاء • ومثـــل هؤلاء الرعاة لا يملكون اقتصادهم الخاص ، ولا الارض ، وان كان توجد في حوزة بعضهم ثلاثة أو اربعة خرفان هي في الواقع بمثـابة لاشيء في المجتمعات المتنقلة ، اذ ليس بامكانها ضمان مجرد الخبز له • هؤلاء الرعاة يأخذون لقاء رعي كل ٢٠ خروف خروفـــا واحـــدا لانفسهم • ولا يجوز ان يزداد عدد ما يقومون برعيه من الخرفـان عن ٢٠٠ ـ ٢٦٠ خروفا • لكن أصحاب الحيوانات يقومون ، عادة ، بدفع ١٠ـ١٤ خروفا لهم مقابل رعي ٥٠٠ ـ ٦٠٠ مـن حيواناتهم • وكان الرعاة يستأجرون بدورهم مساعدين لهم «دوازو» مقابل ٥ـ٦ خرفان • أما بقية ما يحصل عليه من الخرفان فانها كانت تذهب الى الاقطاعي الذي كان يحتفظ ، بالاضافة الى ذلك ، بخروف واحـد ، أو خروفين آخرين كضريبة اقطاعية •

والنوع الثاني من العمال الزراعيين هو الـ «گاوان» ، وهم رعاة الابقار والخيول أو الجمال • وهؤلاء عمال موسميون يستأجرون من الربيع حتى الخريف •

أما النوع الثالث فهو مـــا يعرف بالـ «خولام»(٨) • وهؤلاء يستأجرون من جانب المستقرين لسنة كاملة • وهم يؤدون جميـــع الاعمال من رعاية الحيوانات ، وتنظيف الاصطبل ، ونقل الروث على ظهورهم ، ويقومون بالحرث والبذار وما شابه •

ويوجد ايضا نوع آخر انتقالي يمكن اعتباره النوع الرابع ، وهو ما يعرف بـ «روژ حەق» أي (عامل يومي ـ المياومة) • وينطبق الاسم على واقع الأمر تماما • اذ يؤجر هؤلاء للعمل خلال الصيف ، وعلى أساس اجر يومي أو شهري فقط •

والنوع الخامس هو العناصر نصف البروليتارية ، والـــذي يعرف عند الاكراد بالـ «بەدەرڤانی» (٩) • انهم يؤجرون فقط أثناء جمع الحشيش والحصاد والجرش • ان اقتصاد هؤلاء غير متكامل ، لذا يضطرون للعمل مقابل اجرة في أعمال سقي موسمية • مـن هنا فانهم لا يعتبرون عمالا زراعيين بكل ما في هذا المصطلح من معنى •

يعود ظهور جميع هذه الانواع من العمـال الزراعيين ، بدون شك ، الى فترة متأخرة عندما دخلت عناصر التجارة الرأسمالية في الريف الكردي أيضا ، حيث غـدا الكردي المتنقـل ، والـكردي المستقر يعانيان من وضع صعب للغاية • وتعود بداية هذه التغييرات (أي تغلغل عناصر التجارة الرأسمالية في الريف ، وتردي وضـــع

(٨) محرفة من كلمة غلام ـ المترجم •

(٩) مصدر المصطلح : « بی دەرەڤان ـ بی دەرەوان، بەیدەرەوان» • في القاموس الكردي ـ الروسي للدكتور كوردوييف (ص ٩٤) الشخص الذي يعمل في البيدر أو الدارس ـ المترجم •

الفلاح الكردي ـ المترجم) الى نهاية القرن الثامن عشـــر وبداية القرن التاسع عشر(١٠) ٠

لكن هل كان يوجد الرق بين الاكراد ؟

ان العلمـاء البورجوازيين لا يذكرون ، عـادة شيئا عن الرق بين الاكراد ، لأن التطرق الى مثل هذا الموضوع ليس في صالحهم ٠ فقد اعلن س٠أ٠ يگيزاروف المعروف بتخصصه في درس تقاليـــد الكردوعاداتهم ، اعلن صراحةان «لا ذكر للرق بين الاكراد»(١١) ٠ في الواقع يحاول المؤرخون البورجوازيون ، ولاسيما المعاصرون منهم ، انكار الحقائق المتعلقة بوجود الرق عند الكرد بجميع السبل ٠ الا اننا نعرف من الأدب الشعبي الكردي اغنية « قولي خانم » التي فيها وصف لحقائق تدل على وجـود الرق ٠ فقد جـاء في هـــذه الاغنيـــة :

أنا عبد ، عبد والدك
اعمل مع طلوع الشمس حتى غروبها في الغابة
احمل الحطب والماء في قرب كبيرة
اطلبي من والدك ان يحررني (١٢)

(١٠) تعود بدايات اندماج كردستان بالسوق الرأسمالية العالمية الى القرن التاسع عشر ، مما ترك آثارا عميقـة على الكيـــان الاجتماعي ـ الاقتصادي للشعب الكـردي ، ولا سـيما لان عملية الاندماج اسرعت ـ بالرغم من بطئها النسبي ـ عملية انحلال العلاقات الاقطاعية في المجتمع المذكور ـ المترجم ٠

(١١) س٠أ٠ يگيزاروف ، المصدر السابق ، ص ١٨ ٠

(١٢) هذه الكلمات لا تدل بحد ذاتها على وجود نظام الرق الذي له شروطه وقوانينه كمرحلة تاريخية محددة ٠ ثم اننا غالبـا ما نلتقي تلك الكلمـات في قصـائد لشـعراء شـرقيين معاصرين ـ المترجم ٠

ظهر الرق بين الكرد عن طريقين • يرتبط الاول منهما بالمعارك التي كانت تقع بين القبائل وتؤدي الى أسر واخضاع بعض الناس • ونورد ها هنا كلمات الاغنية التي لا تزال تقدم حتى الان أثناء العرس • انها تقول :

اعلن حسن آغا باعلى صوته
سوف أقوم باسر رضا خالد
واجبره على جلب الحطب الى داري
وعندما سمعت شقيقة رضا خالد ردت عليه
اذا كنت رجلا فاذهب لمحاربته
وان أستطعت فأسره وأجبره على رعي خيولك •

أما الطريق الثاني فهو ما يعرف بعبيد الدار • فقد دفع تراكم الـ «رژو» و «كاور نەمرى» ، والالتزامات الاخرى الصعبة بالفلاح الى عبودية الزعيم المستغل • وقد وجدنا مثل هذا الواقع قبل زمن غير بعيد بين عشيرة (كيوان قره) بالقرب من بدليس في كردستان تركيا • وان مثل هؤلاء العبيد يعملون بكامل طاقاتهم في خدمة أصحابهم ، ويتلقون لقاء ذلك الحد الادنى من الحاجيات التي تضمن لهم عيشهم • لكن هذا النوع من الرق لم يكن شائعا بين الكرد ، ولم يلعب دورا بارزا في المجتمع الكردي •

من هنا يمكننا القول ان الرق كان موجودا بين الاكراد ، الا انه لم يتطور بالطبع الى ذلك الحد الذي نلاحظه في مجتمعات العبيد •

خاتمة

في ختام دراستنا للمجتمع الكردي نستطيع التوصل الى الاستنتاجات التالية :

١ ـ يظهر الاقطاع المتنقل الكردي من خلال الاستيلاء على ارض الرعي ومصادر الماء وقطعان كبيرة من الحيوانات • أما الاقطاع في المجتمع الكردي المستقر فانه يعتمد على التملك الاقطاعي الخاص للارض ، ولنظام الري •

٢ ـ يحافظ الاقطاع الكردي على العلاقات العشيرية مستخدما اياها كوسيلة اخضاع لاكثر الفلاحين الكرد فقرا •

٣ ـ من ميزات المجتمع الكردي طابعه الخاص في الجمع بين العلاقات الاقطاعية ، مع التنظيم الطائفي للمجتمع الذي يعود الى النظام العشيري ، والذي نفذ الى كل نظام العلاقات الاجتماعية القائمة •

٤ ـ لم يشغل الرق حيزا ملموسا في المجتمع الكردي ، ولم يتحول الى الشكل الرئيس للاستغلال • وهذا يعود الى وجود مجتمعات حول المجتمع الكردي عاشت مرحلة العبيد في أعلى

اشكالها ، ودخلت في مرحلة الاقطاع(١) • لذا لم يتحول الرق الى أساس الانتاج (في المجتمع الكردي ـ المترجم) ، بل ساعد فقط في ظهور الاستغلال الاقطاعي •

(١) يقصد المؤلف ان مرحلة العبيد قد أصبحت غريبة بالنسبة للمنطقة بعد ان مرت بها شعوب مجاورة للكرد (مثل الارمن) ودخلت مرحلة أعلى من التطور الاجتماعي ، ونقصد بها مرحلة الاقطاع ـ المترجم •

فهرست الاعلام

(★) (ع) = عشيرة .

المحتـــويات

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
١٩٧ لسنة ١٩٨٤

الثمن (٦٠٠) فلس

مطبعة الحوادث ـ بغداد